الدولة الصفوية في مواجهة التحديات

أ.د. بدرالدين الخصوصي *

تعتبر الدولة الصفوية من اهم الدول التي بسطت نفوذها على ايران (١) عبر تاريخها الذي يمتد الى عصور ما قبل التاريخ مرورا بالعصر الاكميني والسلوقي فالبارثي والساماني فالفتح العربي الاسلامي الذي اعقبه قيام الدويلات المحلية ثم العصر السلجوقي فالمغولي والتيموري فالصفوي .

ولقد شهدت ايران قبل قيام الدولة الصفوية عند مطلع القرن السادس عشر فترة من التفكك السياسي والحكم الاجنبي امتدت الى ما يزيد عن ثمانية قرون (٢) بسبب الخلافات العرقية والدينية والمذهبية المختلفة ، ولذا فان مجيء الدولة الصفوية ونجاحها في توحيد ايران سياسيا وعرقيا ومذهبيا يعتبر في حد ذاته حدثا بالغ الاهمية ونقطة تحول في تاريخ ايران في العصر الحديث (٣) .

أصل الصفويين :

وتنسب الدولة الصفوية الى الشيخ اسحاق صفي الدين (١٢٥٢ — ١٣٣٤) (٤) الذي كان يقيم في أردبيل باقليم اذربيجان ، ولا يعرف على وجه اليقين أصل الصفويين ، فهناك من يذهب الى انهم عناصر عربية تنتسب الى رجل من العلويين (٥) هاجر فيما يبدو من اليمن في جنوب شبه الجزيرة العربية واستقر في أردبيل بالقرب من بحر قزوين ، في حين يعتقد البعض انهم ينتمون الى عناصر تركية قدمت الى أردبيل وتحدثت « الاذربية » التركية التي كان يتحدث بها سكان اذربيجان ، بينما يرى اخرون انهم عناصر ايرانية تنحدر من الجنس الآري . أما « توجان » Togan فيذهب الى ان اسلاف الصفويين ربما كانوا قد اصطحبوا الامير الكردي Mamlân b. Vahsûdân عندما استولى على « أردبيل » عام ١٠٢٥ (٦) .

---

* استاذ بقسم التاريخ جامعة الكويت .

الشيخ صفي الديـــن :

واذا كان الباحثون يختلفون فيمعرفة أصل الصفويين ، فانهم يتفقون علـــى ان شيخهم صفي الدين كان يحظى بمكانة مرموقة لـــدى المواطنين الذين كانـــوا يتوافدون عليه للتبرك بسبب زهده وورعه وتصوفه (٧) .

ولا يعرف على وجه اليقين ما اذا كان الشيخ صفي الدين قد تشيع ام بقى على تسننه ، وان كانت الاقوال ترجح أنه كان سنيا (٨) صوفيا على مذهب الامام الشافعي ، فالقزويني يذكر في نزهة القلوب ان سكان اردبيل « .. **أكثرهم على مذهب الامام الشافعي ، وهم مـــن مريدي الشيخ صفـــي الدين الاردبيلي** » ، كما كتب « عبيد الله خان » قائد الاوزبك الى الشاه طهماسب الاول الصفوي في عام ١٥٣٠ يقول « .. **لقد كان ـــ الشيخ صفي رجلا معززا مكرما ، كما كان مـــن أهل السنة والجماعة** » (٩) ، مما يرجح ان تشيع الحركة الصفوية لم يكن في عهد خلفائه ، ولربما في مشيخة « خوجة على » التي تواكب الغارة المغولية التي قادها « تيمور لنك » عند مطلع القرن الخامس عشر حيث اجتاحت كثيرا من المناطق من بينها أذربيجان ، ولما كان « خوجة على » قد ذاع صيته وقتذاك ، لذا اتصل بـــه واستجاب لطلبه فأوقف عليه اردبيل ولاعقابه من بعده (١٠) .

الشيـــخ جنيـــد :

وعندما تولى « جنيد » زعامة الحركة ، عمل الصفويون على تنظيم صفوفهم لمواجهة الاضطرابات التي اجتاحت ايران في اعقاب وفاة « تيمورلنك » عام ١٤٠٤ وللوقوف في وجه قبيلة الحمل الاسود (القره قيونلو) الشيعية التي اتخذت من بحيرة « وان » مركزا لنفوذها والتي والتي تمكنت عام ١٣٧٥ من الاستيلاء علـــى الموصل واحتلت بغداد عام ١٤٤٠ وظلت تحكمها حتى عام ١٤٦٧ (١١) ، كما وقف الصفويون في وجه قبيلة الحمل الابيض (الآق قيونلو) السنية التي تمركزت فـــي منطقة ديار بكر وتحالفت مع تيمور ، وواجهوا العديد من القبائل التركمانية التـــي كانت تسيطر على الاجزاء الغربية من ايران ، ولذا عمل « جنيد » خلال وجوده في الاناضول على جمع الاتباع والاعتصام بهـــم في جبـــل أرسوس علـــى خليـــج الاسكندرونة ، غير ان السلطان المملوكي « جقمق » سعى الى اعتقاله ، ففر الى البحر الاسود وجمع الكثير من الاتباع (١٢) ، وتحالف مـــع « أوزون حســـن » وحارب « القره قيونلو » ، غير انه لقي حتفه (١٣) بوادي قره صو في الفـــرات العربي على يد شروان شاه في ٤ مارس عام ١٤٦٠ (١٤) .

الشيخ حيدر :

تزايد الصراع بين الصفويين و « القره قيونلو » في عهد « حيدر » الذي خلف والده « جنيد » في زعامة البيت الصفوي ، ولكي يتمكن « حيدر » من الاخذ بالثأر لأبيه وطد علاقته بأوزون حسن فزوجه كبرى بناته من أميرة طرابزون (١٥) ، ودعم صلاته ببعض القبائل التركمانية المتطلعة الى السلطة والنفوذ كقبائل « روملو » و« شاملـــــو » و« استاجلـــو » و« وتاكالـــو » و« ذى القـــــدر » و « الافشار » و « القاجار » (١٦) ، وقد اتخذ لتلك القبائـــل التي انضمت اليه لباسا للرأس أحمر اللون له اثنتا عشرة ذؤابة كناية عن الاثني عشر اماما ، وقـــد أطلق العثمانيون عليهم اسم « القيزلباش » (١٧) ، Qizil Bash الذيـــن خاض بهم « حيدر » معاركه ضد التركمان « القره قيونلو » و « الآق قيونلو » والتي لقي خلالها « حيدر » حتفه عند سفح جبل البرز في ٩ يوليو عام ١٤٨٨ (١٨) .

الشاه اسماعيل الصفوي :

ولم يكد يتولى « اسماعيل بن حيدر » (١٥٠٠ ــ ١٥٢٤) زعامة الحركة في الثالثة عشرة من عمره ، حتى عول على جمع الاعوان والاتباع من « استارة » على بحر قزوين ، ومن الجماعات التركية في الاناضول وشمال سوريا (١٩) ، وعندما شعر بقوته توجه الى محاربة النصارى في بلاد الكرج « جورجيا » وفتك بفرخشاه اثر معركة عند « كلستان » Galestan وقضى على سلالته من آل ساسان واحتل « باكو » المطلة على بحر قزوين و « دربند » وتوجه الـــى « قره بـــاغ » واستعد لغزو خراسان ، وأوقع الهزيمة بخان « الآق قيونلو » فـــي منطقـــة « شرور » بأذربيجان واستولى على تبريز عام ١٥٠١ ، وقضى نهائيا على امارة « الحمل الابيض » عام ١٥٠٣ ، وبسط سلطانه على اذربيجان ، كما استولى عام ١٥٠٣ على شيراز وأخضع كلا من « عراق العجـــم » Eraqe Ajam وفارس وكرمان وخوزستان ومازندران واستراباد وجميع انحاء جيلان ، وتغلب على علاء الدولة أمير « البستان » (امارة ذى القـــدر) عـــام ١٥٠٧ ، وضـــم ديار بكر ، واستولى على بغداد والنجف وكربلاء والمناطق الجنوبية الغربية من فارس عام ١٥٠٨ ، كما استولى على « دزفول » وشيراز ، وبينما كان هناك ، قدم اليه مبعوثون من حكام هرمز و « لار » حملوا معهم الهدايا المناسبة واعلنوا أن الخطبة والعملة أصبحت باسم الشاه اسماعيل (٢٠) ، ثم لم يلبث ان اوقع الهزيمة بمحمد خان الشيباني المعروف باسم « شاهي بك خان » حاكم تركستان في معركة قرب « مرو » عام ١٥١٠ مؤمنا بذلك حدود بلاده الشرقية (٢١) .

وهكذا استطاع الشاه اسماعيل الصفوي خلال فترة لم تزد علـــى عشر

سنوات ان يأخذ بثأر أبيه ، وأن يزيل امارة « الحمل الابيض » من الوجود وأن يخضع كافة المناطق الايرانية لنفوذه لكي يقيم منها الدولة الصفوية التي اتخذت من « تبريز » (٢٢) عاصمة لها ومن مذهب الاثني عشرية الشيعي مذهبا رسميا للدولة (٢٣) ، فأمر الشاه اسماعيل الصفوي بأن تكون الخطبة باسم الأئمة الاثني عشرية وان تسك على العملة عبارة **« لا اله الا الله محمد رسول الله ، على ولي الله »** (٢٤) واسم الشاه الصفوي .

قامت الدولة الصفوية وامتدت أراضيها لكي تشمل بلاد فارس وما جاورها، فأصبحت على حدود متاخمة من ناحية الغرب مع الدولة العثمانية ومن الشرق مع الاوزبك والمغول ومن الجنوب مع البرتغاليين المستعمرين المتمركزين في منطقة الخليج العربي ، لذا كان من الطبيعي ان تتعرض الدولة الصفوية مع نموها وتزايد طموحاتها لضغوط من جانب تلك القوى التي عملت على تقليص نفوذها مما جعلها تدخل في تحديات مع كل منها .

اولا : التصدي للدولة العثمانية

ولعل أهم التحديات التي واجهت الدولة الصفوية كانت من جانب الدولة العثمانية التي برزت مع مطلع القرن السادس عشر كدولة سنية كبيرة امتدت بملكها لكي يشمل الاناضول وجنوب شرقي اوروبا وذلك في اعقاب نجاحها في اسقاط الدولة البيزنطية والاستيلاء على القسطنطينية عام ١٤٥٣ ورفعها راية الاسلام في مناطق لم يسبق للمسلمين أن وصلوا اليها من قبل ونعني بذلك بلاد البلقان وجنوب شرقي أوروبا .

التطلع الى العراق :

وبينما كانت الدولة العثمانية تواصل انتصاراتها في الجبهة الاوروبية ، كانت الدولة الصفوية قد برزت كدولة مسلمة فتية سعت الى الامتداد بملكها شرقا وغربا ، وقد شجعها ذلك على التطلع الى العراق بسبب أهميته المذهبية والاقتصادية ، فالعراق هو مركز الشيعة وبه أقدس مقدساتهم في النجف وكربلاء ، كما انه غني بموارده الزراعية لوفرة مياهه ، ويحظى بمركز اقتصادي كبير بسبب أهمية موقعه على الطريق التجاري بين الشرق والغرب ، وقد تمكن الشاه اسماعيل من اخضاعه لنفوذه سياسيا ومذهبيا عام ١٥٠٨ ، مما ترتب عليه أن اصبحت حدوده متأخمة لحدود الدولة العثمانية في الاناضول ، فتطلع اليها لنشر مذهبه الشيعي بين القبائل التركمانية القائمة شرقي الاناضول التي كانت قد أثارت القلاقل في وجه الدولة العثمانية وباتت على استعداد للدخول في الطرق الصوفية التي تدعو الى تعاليم وطقوس تتفق مع حياتهم .

ارسال الدعاة الـــى الاناضول :

بعث الشاه اسماعيل الصفوي بدعاته الى القبائل التركمانية في الاناضول ، فاستجاب رجالها لدعوتهم (٢٥) واعتنقوا مذهبهـــم الشيعي ، وبدعم من الدولـــة الصفوية ثاروا على الدولة العثمانية بزعامة « شاه قولو » Shah Kulu عام ١٥١١ واستولوا على كوتاهية وهاجموا بورصة وسيطروا على معظم المناطق الوسطى والجنوبية الشرقية من الاناضول ، واجبـــروا السلطان بايزيد علـــى الانسحاب لكي يبعث اليهم الصدر الاعظم « خادم علي باشا » على رأس ٨٫٠٠٠ من الانكشارية تمكنوا من الحاق الهزيمة بالثوار بالقرب من قيصرية في أغسطس عام ١٥١١ ، كما فتكوا بقائدهم « شاه قولو » وتمكنوا من احكام سيطرتهم عليهم ، مما اضطر احياء القزلباش الى الفرار نحو فارس (٢٦) ، فتوترت العلاقات بين الجانبين خصوصا على اثر الحملات العسكرية التي بعث بها الشاه اسماعيـــل الصفوي الى الاناضول ، تلك الحملات التي توغلت في الاراضي الاناضوليـــة عام ١٥١٢ واوقعت هزائم عديدة بالقوات العثمانية (٢٧) .

موقف السلطـــان بايزيـــد :

وتذكر المصادر ان السلطان « بايزيد » تـــردد في شن هجوم مباشر علـــى الصفويين اما لتعاطفه مع التعاليم الصوفية التي كان يبثهـــا الدعاة الشيعة أو لرغبته في تجنب الحرب ضد الصفويين بقدر الامكان أو لخشيته من أن تـــؤدي الدعوة الصوفية الى اجتذاب كثير مـــن مقاتليه اليها ، لهذا تراسل مـــع الشاه اسماعيل الصفوي لاقناعه بانهاء مساعيه الرامية الى نشر المذهب الشيعي في الاناضول (٢٨) .

السلطـــان سليم الاول :

ولم يكـــد يخلف السلطان سليم الاول والـــده في عـــرش السلطنـــة عام ١٥١٢ (٢٩) ، حتى عول على اكمال مهمة والده باخماد ثورة الدعاة الشيعة فـــي الاناضول ، فألقى القبض على كبار قادتهم وفرقهم في ممتلكاته البلقانية ، مما اعتبره الشاه اسماعيل الصفوي عملا معاديا له ولدولته ، فاقتص من السنة القائمين في بلاده (٣٠) ، واحتضن السلطان مراد أخا السلطان سليم ورحب به في أصفهان ، وعندما توفي ، قام بدعم الوريث الشرعي الامير أحمد واتخذ منه ذريعة لاضعاف مركز السلطان سليم مما اضطره الى الخروج على رأس جيش كبير بلـــغ تعداده مائتي الف مقاتل وبرفقته اثنا عشر الفا من الانكشارية ، ولكي يؤمن مؤخرته ، فتك بعدد كبير من الشيعة المقيمين في بلده ، وأمـــر بنقل مـــن بقي منهم الى ممتلكاته الاوروبية بعد وسمهم (٣١) ، وتحالف مع سلطان المماليك في مصر والشام عـــام

١٥١٣ لتأمين ممتلكاته خلال انشغاله بمحاربة الصفويين (٣٢) .

معركة شالديران :

وازاء ذلك خرج الشاه اسماعيل الصفوي على رأس جيشه حيث التقى بقوات خصمه السلطان سليم الاول العثماني في معركة « شالديران » Chaldiran عند منتصف الطريق بين « أرزنجان » وتبريز وذلك في ٢٣ اغسطس عام ١٥١٤ تحقق النصر فيها للسلطان سليم بفضل مدفعيته التي انهارت أمامها مقاومة الصفويين وسقط خلالهاالشاه اسماعيل الصفوي من على صهوة جواده ولم ينقذه من الاسر سوى بسالة أحد جنوده (٣٣) ، فانسحب من ميدان المعركة بصحبة مجموعة من أقرب مرافقيه ووصل الى « دارجوزين » Darjozin لاعادة تنظيم صفوف قواته ، غير ان السلطان سليم لاحقه بقواته واوقع الهزيمة به عند تبريز في ٥ سبتمبر عام ١٥١٤ (٣٤) ، غير انه لم يمكث بها أكثر من عدة ايام قرر بعدها العودة الى بلاده في الوقت الذي كان فيه الشاه اسماعيل الصفوي قد لاذ بالفرار نحو الهضبة الفارسية الوعرة .

ويذكر « فارمايان » Farmayan انه على الرغم من انتصار السلطان سليم الاول في « شالديران » واستيلائه على « أذربيجان » ، فقد فشل في تحقيق هدفه ، فلقد تمكن الشاه اسماعيل الصفوي من الافلات من يديه لكي يقيم الامبراطورية الصفوية التي اتخذت من المذهب الشيعي مذهبا رسميا لها ، كما خرج الصفويون من المعركة مقتنعين بضرورة التزود بالاسلحة الحديثة في أسرع وقت لكي يتمكنوا من احراز النصر في معاركهم المقبلة (٣٥) .

عودة السلطان سليم :

وعلى كل ، فان السلطان سليم الاول لم يشأ أن يتتبع خصمه الشاه اسماعيل الصفوي داخل الهضبة الفارسية ، فعاد الى بلاده بعد أن أمر بارسال العلماء وكبار التجار وأمهر الفنيين الى « استانبول » (٣٦) . وقد اختلف المؤرخون في تفسيرهم لعودة السلطان سليم السريعة من جبهة القتال ، فمنهم من يرى أن الحرس السلطاني من الانكشارية المرافقين لسليم ضغطوا عليه واجبروه على الاكتفاء بما احرزه من نصر على غريمه الشاه اسماعيل الصفوي والعودة الى بلاده (٣٧) ، وهناك من يفسر سبب هذه العودة بأن الظروف التي كانت تواجه سليم في عاصمة بلاده وفي ممتلكاته الاوروبية لم تكن لتسمح له بالبقاء بعيدا عنها ، ومن ثم اضطر الى الرجوع الى بلده لمواجهتها ، في حين يذهب آخرون الى ان السلطان سليم لم يشأ ملاحقة الشاه اسماعيل الصفوي في الهضبة الفارسية خشية ان تطول خطوط امداداته وتثقل بالتالي مؤنه (٣٨) من ناحية ، والصعوبات

الجبلية والقحط الذي الـم بالمنطقة بسبب « **سياسة الارض المحروقة** » التـي انتهجها الشاه اسماعيل الصفوي عقب انسحابه عندما قام باتلاف كل ما يمكن ان يفيد منه العدو مـن ناحية اخـرى (٣٩) ، بينما يفسر البعض انسحـاب سليم بالشائعات التي انتشرت وقتذاك عن وجود مخطط بين الشاه اسماعيل الصفوي والسلطان قنصوه الغوري سلطان المماليك في مصر والشام لانزال الهزيمة بسليم وجيشه داخل الهضبة الفارسية (٤٠) .

وأيا كانت الاسباب ، فقد توقف سليم الاول عن معاركه في الجبهة الفارسية ، وعاد علـى راس جيشه الى بـلاده بعد ان نجـح في تأمين جبهته القتاليـة مع الصفويين باستيلائه على الموصل وشمال العراق وديار بكر وماردين ومـرعش والبستان وأذربيجان (٤١) ، وتعيينه حكاما على تلك المناطق وحصوله على ولاء امراء أردلان والعمادية وجزيرة ابن عمر واقامته حامية عثمانية في ولاية « وان » مما أضعف من حكم الصفويين لبغداد والعراق الاوسط . وقد استغل هذا الضعف « ذو الفقار » زعيم احدى القبائل الكردية ، فاغتال حاكم بغداد الصفوي وحـل مكانه في عام ١٥٢٤ بعد أن أعلن ولاءه للدولة العثمانية (٤٢) .

الشاه طهما سب الاول :

حاول الشاه طهما سـب الاول Tahmasp (١٥٢٤ ـ ١٥٧٦) ـ الـذي خلف والده عقـب وفاته في ٢٣ مايو عام ١٥٢٤ (٤٣) ـ استمالـة « ذو الفقار » الى جانبه ، غير أنه لم ينجح في ذلك ، فقام بتأليب شقيقيه عليـه فقتلاه عام ١٥٣٠ وأعاد بغداد الى التبعية الصفوية (٤٤) ، كما أعلن « شرف خان » حاكم (تفليس) خضوعه للصفويين بعد ان خلع ولاءه للعثمانيين، فقام هؤلاء بتكليف حاكم تبريز الموالي للعثمانيين بمحاربته وقتله ، ممـا اثار حنق العثمانيين واستياءهم خصوصا عندما قام الصفويون بتشجيع بعض القبائل التركمانية على اثارة القلاقل في الاناضول بزعامة « قلندر جلبى » عام ١٥٢٧ ، وقيامهم بالاتصال بشارل الخامس الذي اعتلى عرش النمسا واستقبال الشاه طهما سب مبعوثـه عام ١٥٢٩ ، وانتهاجهم سياسة الضغط على بعض السنة في بغداد ، فتقدم هؤلاء بنداء الاستغاثة الى السلطان سليمان القانوني للقـدوم اليهم لتخليصهم ممـا يعانونه على أيدي الصفويين (٤٥) .

حملـة السلطان سليمان القانونـي :

وهكذا تهيأت الظروف وتوافرت الاسباب التي دفعت السلطان سليمـان القانوني الى استئناف حروبه ضد الصفويين ، فأمر باعداد حملة عسكرية يتراوح تعدادها ما بين ٨٠ و ٩٠ الف مقاتل جعل على رأسها الصدر الاعظم « ابراهيـم

باشا » في ٢١ اكتوبر عام ١٥٣٣ توجهت الى حلب وديار بكر فاشتبكت مع الامراء المحليين في مناطق الحدود ، وأجبرت الكثيرين منهم على الاعتراف بالعثمانيين ، ثم واصلت الحملة مسيرتها ، فتوجهت الى تبريز واستولت عليها في ١٣ يوليو عام ١٥٣٤ (٤٦) ، واخضعت أمراء غيلان وشروان الذين استمدوا ثروتهم من تجارة الحرير الذي يمر عبر تبريز الى حلب وبورصة (٤٧) ، وقد لحق السلطان سليمان القانوني بقائده ابراهيم باشا في تبريز برفقة القسم الرئيسي من جيشه ، وقاما بقطع الطريق الذي يربط بغداد بالشمال والشرق ، واخضعا الامراء الصفويين للدولة العثمانية ، وواصل الجيش العثماني زحفه فوصل الى همذان في ٣١ اكتوبر عام ١٥٣٤ ومنها الى خانقين ، وعندئذ لم يجد «محمد خان» حاكم بغداد الصفوي سبيلا امامه سوى اعلان ولائه للعثمانيين ، فدخل السلطان سليمان القانوني مدينة بغداد بدعوة من حاميتها الصفوية في ٣١ ديسمبر عام ١٥٣٤ (٤٨) حيث أخذ زعماء القبائل يتوافدون عليه ويعلنون تبعيتهم للدولة العثمانية ، فسيطر العثمانيون بذلك على احدى الطرق التجارية الهامة التي تربط الشرق الاقصى بأوروبا عبر الخليج العربي وبغداد والموصل وحلب أو عبر بغداد ودمشق وصيدا (٤٩) .

عودة السلطان سليمان القانوني :

وقبل ان يغادر السلطان سليمان القانوني بغداد ، قام بتعيين سليمان باشا حاكم ديار بكر العثماني واليا على بغداد وابقى فيها قرابة ألفين من الجنود غادرها بعد ذلك في ٢ ابريل عام ١٥٣٥ باتجاه اذربيجان ، واحتل كثيرا من القلاع الاستراتيجية في منطقة كركوك لحماية المناطق المفتوحة ، ووصل تبريز في ٢ يوليو عام ١٥٣٥ فاستسلمت له (٥٠) ، واضطر الشاه الصفوي الى طلب الصلح ، فوافق السلطان سليمان القانوني على ذلك وأخلى له تبريز مقابل تقديم الشاه الطاعة للسلطان ، ثم لم يلبث السلطان سليمان القانوني ان غادر المنطقة الى ديار بكر ومنها توجه الى « استانبول » فوصلها في ٢٩ ديسمبر عام ١٥٣٥ تاركا خلفه سبعة عشر ألفا من مقاتليه لحماية مؤخرة جيشه (٥١) .

معاهدة أماسيا :

لم يستسلم « طهماسب الاول » للعثمانيين بالرغم من تفوقهم عليه ، فأعد حملة عسكرية عام ١٥٥٣ وجهها لمحاربتهم ، وأوقع الهزيمة بالمقاتلين العثمانيين واستعاد « طوريس » Tauris ، ولم يجد الباب العالي امامه من سبيل سوى التفاوض مع الصفويين وعقد « معاهدة أماسيا » Treaty of Amasya عام ١٥٥٣.

ويذكر « سافوري » أنه لو كان قد قدر للشاه طهماسب الاول التفاوض مع العثمانيين عام ١٥٣٤ لأجبر على التنازل عن مساحات كبيرة من الاراضي الواقعة شمال غربي بلاده بما فيها العاصمة « تبريز » ، غير أنه بمقتضى « معاهدة أماسيا » حدث تعديل طفيف على طول الحدود العثمانية الصفوية ، وقسمت « جورجيا » الى مناطق نفوذ مشترك ، وحصل كل من الطرفين على بعض الميزات، وخيم السلام على العلاقات بين الجانبين طوال الفترة المتبقية من حياة الشاه طهماسب الاول (٥٢) .

معاهدة ٢٢ مارس ١٥٩٠ :

واصل العثمانيون ضغوطهم على الجبهة الفارسية مستغلين فرصة الاضطرابات التي اجتاحتها في عهد الشاه « اسماعيل الثاني » والسلطان « محمد ضدا بنده » ، فامتد « جغال » بنفوذه في الجبهة العراقية الى مدينة نهاوند وحدود لورستان ، واستولى « فرهاد باشا » على قره باغ ، و« جعفر باشا » على المناطق المجاورة لتبريز ، مما اضطر الشاه عباس الاول الى مفاوضة العثمانيين ، فاستجابوا لذلك وعقدوا معه معاهدة في ٢٢ مارس عام ١٥٩٠ تنازل الشاه بمقتضاها للعثمانيين عن مقاطعات أذربيجان وجورجيا ولورستان بما فيها من مدن تاريخية مثل تبريز وتفليس وجنجه Ganjeh ونخجوان (٥٣) ، وتعهد الشاه بوقف عداءاته للسنة ، ووضع ابن أخيه « حيدر ميرزا » رهينة لدى العثمانيين في « استانبول » لضمان احترام الصفويين لنصوص المعاهدة ، واتفق الطرفان على الافراج عن الاسرى الموجودين لديهما (٥٤) .

وتذهب المصادر الى ان العثمانيين قبلوا بتلك المعاهدة لكي يتفرغوا لمواجهة الضغوط الاوروبية بعد ان اطمأنوا على جبهتهم القتالية الشرقية ، كما قبل الصفويون بها لكي يتسنى لهم اعادة بناء قوتهم العسكرية وتدريبها وتزويدها بالمدفعية للأخذ بالثأر من العثمانيين واستئناف معاركهم ضد الاوزبكيين في خراسان ، والدخول في مواجهات ضد البرتغاليين .

نظام الغلمان الجديد :

ولكي يتمكن الصفويون من تحديث قوتهم العسكرية قاموا بتقليص نفوذ « القزلباش » وتخفيض عددهم الى النصف ، وقضوا على نفوذ جماعة الصوفيين التي تكونت منذ قيام الدولة الصفوية وابعدوهم عن المشاركة في الدفاع عنها (٥٥)، واقاموا أداة عسكرية جديدة عرفت باسم « نظام الغلمان الجديد » الذي يتألف من مجموعات من الغلمان أو المقاتلين الفرسان والمشاة . ويعرف الفرسان باسم « الكولار » Qollar ويتم تجنيدهم من الجراكسة والكرجيين والارمن ويخضعون

للشاه مباشرة ويأتمرون بأوامره ويتقاضون رواتبهم من خزانة الشاه ، ويرتدون قبعة « القزلباش » ويحمل قائدهم لقب Qollar Aqasi ويحظى بلقب عسكري يعادل لقب القائد العام للجيش .

أما المشاة فيتم تجنيدهم من بين المواطنين المخلصين للشاه من مقاطعات مازندران ولورستان وكردستان ويعرفون باسم «شاهسون» أي «محبي الشاه» ، ومن بين هؤلاء جماعة « التاجيين » Tajik أو « التوفنجية » Tofangehis من حملة البنادق وهؤلاء لا يتحدثون التركية ولا يحظون بامتياز لبس القبعة الحمراء (٥٦) .

ولقد زود الصفويون نظامهم الجديد في عهد الشاه عباس الاول (١٥٨٨ ــ ١٦٢٩) بالاسلحة النارية والبنادق والمدافع التي استخدموها على نطاق واسع وبكفاءة عالية مستعينين في ذلك بالخبرة الاوروبية التي وفرتها لهم البعثة الانجليزية التي قدمت الى فارس عام ١٥٩٧ برئاسة الاخوين « شرلي » والتي عاونت الشاه عباس في اقامة مصنع للاسلحة والذخائر ، وساعدته في وضع الخطط العسكرية ، وشاركته في بعض المعارك التي خاضها (٥٧) .

هجمات الشاه عباس ضد العثمانيين :

ولم يكد ينتهي الشاه عباس الاول من بناء قوته العسكرية ، حتى اخذ يتحرش بالعثمانيين في عهد السلطان « محمد الثالث » مستغلا فرصة القلاقل والاضطرابات التي قام بها « الجلاليون » في الممتلكات العثمانية الشرقية وفي اذربيجان (٥٨) ، كما استغل فرصة التمرد الذي قام بها الثوار في بغداد ضد واليها العثماني واستجاب لطلب الوالي الجديد « احمد اقانامي » فأرسل اليه بعضا من قواته عام ١٦٠٢ حيث قامت بتدمير قلعة العثمانيين في نهاوند التي كانت بمثابة قاعدة امامية للتقدم العثماني في الاراضي الفارسية (٥٩) ، وعقد الشاه عباس العزم على تأديب حاكم « وان » العثماني بسبب تعديه على التجار الفرس (٦٠) ، واستغل فرصة خروج القائد العثماني « علي باشا » بجيشه من تبريز لتأديب غازي بك الكردي حاكم سلماس ، فشن هجومه على تبريز في سبتمبر عام ١٦٠٣ قبل ان يعود اليها القائد العثماني ، واستعان في حملته تلك بالقوات التي زوده بها كل من حاكمي قزوين واردبيل (٦١) .

سقوط تبريز :

ولكي يسهل على الشاه عباس دخول تبريز ، أمر بعض قواته بدخول المدينة في زي التجار ، وعندما حانت اللحظة المتفق عليها ، أطبق الفرس على المدينة من

الداخل والخارج ودخلوها بدون صعوبات تذكر واستردوهـا مـن ايـدي العثمانيين (٦٢) ، ثم لم يلبث الشاه ان الحق الهزيمة بقوات علي باشا واسره ، كما حاصر قلعة تبريز واستولى عليها (٦٣) .

استرداد نخجوان وايروان :

وعلى اثر سقوط تبريز في أيدي الشاه عباس ، أمر قواته بالتقدم نحو المدن الاخرى القائمة في اذربيجان لاخراج العثمانيين منها ، فتمكن « ذو الفقار خان » حاكم اذربيجان الصفوي من الاستيلاء على قلعة نخجوان Nakhchivan وقلاع « ايروان » Erivan بفضل المساعدات العسكرية التي حصل عليها مـن « اللهوردي خان » حاكم فارس ، واضطر قائدها شريف باشا وكبار مساعديـه الى الاستسلام (٦٤) .

وعقب استرداد الصفويين لكل من « تبريز » و« نخجوان » و« ايروان » و« جغفور سغد » وغيرها من المدن الواقعة في اقليم اذربيجان ، سمح الشاه عباس لكثير من جنوده بزيارة ذويهم في مناطقهم الاصلية خلال توقف القتال بسبب برودة الشتاء وتساقط الثلوج ، وذلك في الوقت الذي أمر فيه السلطان العثماني الجديد « أحمد الاول » ــ الذي خلف والده السلطان محمد الثالث عقب وفاته ــ الصدر الاعظم « جغال أوغلو » Jaghal Oghlu بالتوجه على رأس جيش كبير لاسترداد المناطق التي وقعت في أيدي الصفويين ، غير أن الشاه عباس كان يقظا لذلك ، فأرسل عيونه للتعرف على تحركات الجيش العثماني .

وعندما علم الشاه بنية «جغال اوغلو» في التوجه بجيشه من مدينة «قارض» الى « ايروان » و« ونخجوان » لمفاجأة الجيش الصفوي خلال غياب جنوده عنه، آثر التراجع بقواته الى « تبريز » لكي يجبر القائد العثماني على اقتفاء أثره بعيدا عن الاراضي العثمانية فتطول بذلك خطوط امداداته ، كما أمر بحرق المزروعات وردم الآبار على طول الطريق الذي سيسلكه العثمانيون لكي يلقى الجنـود العثمانيون حتفهم من الجوع والعطش ، وقام بترحيل سكان المدن الواقعة على هذا الطريق الى المناطق الداخلية في فارس لكي يجنبهم الاخطار التي قد يتعرضون لها على أيدي العثمانيين (٦٥) . أما بالنسبة لتبريز ، فقد أمر الشاه باقامة قلعة جديدة فيها وحفر خندق يحيط بها وزودها بالمؤن والمعدات التي تكفي جنوده اذا ما حاصرها العثمانيون فترة طويلة (٦٦) .

وقد أثبتت الاحداث أن الشاه عباس كان بعيد النظر للغاية ، فلم يكـد يستكمل القائد العثماني استعداداته ، حتى زحف على رأس قواته نحو «ايروان» و« نخجوان » ، فواجه في طريقه تراكم الثلوج وقسوة الطبيعة التي أرهقت قواته،

فانتشر التذمر بين صفوفها ، واضطر الى العودة الى بحيرة « وان » لحشد جيش جديد ، وعندما تحقق له ذلك ، نشبت معركة بين الجانبين عند « سفيان » بالقرب من تبريز في ٦ نوفمبر عام ١٦٠٥ أظهر خلالها الشاه عباس مقدرة فائقة (٦٧) ، وتمكن الصفويون من اجبار العثمانيين على التراجع الى مدينة « وان » للاحتماء بأسوار قلعتها ، كما تصدى الصفويون للقوات العثمانية التي قدمت لمساندة القوات المحاصرة واوقعوا الهزيمة بها (٦٨) ، وقد شجعهم هذا على استئناف قتالهم للمحاصرين العثمانيين ، ففر القائد العثماني وعدد من كبار ضباطه ومستشاريه نحو الاراضي العثمانية (٦٩) ، غير انهم لقوا الهزيمة مرة أخرى في أذربيجان (٧٠) .

وازاء ذلك قام « جغال أوغلو » بتنظيم قواته وعمل على تدعيمها برجال القبائل ، فاتصل برؤسائها للحصول على مساندتهم استعدادا لمنازلة الصفويين مرة أخرى ، ثم لم يلبث ان تقدم على رأس قواته الى أذربيجان ورابط بالقرب من مدينة « سلماس » (٧١) ، وعندما علم بذلك الشاه عباس ، قام بارسال عيونه مرة أخرى لجمع المعلومات عن الحشود العثمانية ، فلما علم بضخامتها ، فكر في التراجع الى تبريز واشعال النيران في مختلف مظاهر الحياة بين « مرند » و«تبريز»، غير ان كبار قادته رفضوا فكرة التراجع أو التزام جانب الدفاع (٧٢) .

الهجوم الصفوي :

وعلى ذلك ، شن الصفويون هجومهم بقيادة « اللوردي خان » Allahverdi Khan على الجيش العثماني وانزلوا به هزيمة كبيرة واستولوا على الكثير من الغنائم ، وفر القائد العثماني « جغال أوغلو » الى ديار بكر حيث لقي حتفه هناك (٧٣) . فاستغل الصفويون تلك الفرصة للاستيلاء على بقية قلاع العثمانيين في أذربيجان عام ١٦٠٦ . وعلى أثر تساقط هذه القلاع في أيدي الصفويين اقترح « درويش باشا » الصدر الاعظم الجديد عقد صلح معهم ، فاستجاب الشاه عباس لذلك وعرض على السلطان العثماني عقد معاهدة مماثلة لمعاهدة عام ١٥٦١ بين الشاه طهماسب الاول والسلطان سليمان القانوني ، وأمر قواته في نفس الوقت بتعزيز موقفها باستكمال سيطرتها على أذربيجان والاستيلاء على بقية القلاع الهامة مثل قلعة « باكو » و« در بند » Derband المعروفة باسم « باب الابواب » وقلعة « شماخي » Samaki في شيروان عام ١٦٠٧ (٧٤) ، كما أمر قواته بشن هجومها على القبائل الكردية المتعاطفة مع العثمانيين فأخضعها لنفوذه (٧٥) .

معاهـــدة عـــام ١٦١٢ :

وعندئذ وجد الصدر الاعظم الجديد « مراد باشا » أن من مصلحة بـــلاده الاسراع في عقد الصلح مع الصفويين ، وعقب تبادل الرسائل بين الجانبين ، تم التوقيع على معاهدة عام ١٦١٢ التي اعترف العثمانيون بمقتضاها بأن حـــدود فارس هي تلك التي كانت عليه في عهد السلطان سليم الاول ، والتزم الجانبان بتعيين ممثليهما لتحديد تلك الحدود ، وتعهد الصفويون بتصدير مائتي جمل مـــن الحرير سنويا الى الدولة العثمانية (٧٦) .

مسالـــة الحدود :

وعلى أثر توقيع معاهدة عام ١٦١٢ ، اجتمعت لجان تحديد الحدود بين الجانبين في مدينة « سلماس » باذربيجان حيث تمكنت من تحديد الحدود فـــي اذربيجان وأرمينية ، وقسمت كرجستان ما بين الدولتين (٧٧) ، غير أن الكرجيين التابعين لفارس لم يقبلوا بذلك ، فثاروا على الصفويين بتشجيع مـــن بعض الباشوات العثمانيين ، فحاربهم الشاه عباس عام ١٦١٦ (٧٨) ، وأوقع الهزيمة بقائدهم « طهمورث خان »Tahmuras Khan ودمر مدينة كاخت وأمر بترحيل بعض سكانها الى منطقة فرح أباد ومنطقة شرف بمازندران ، وقام بتحويل كنائس المدينة الى مساجد ، ولم يسلم الامراء الكرجيون التابعون للدولة العثمانية من هجمـــات الصفويين .

الهجـــوم العثماني :

وعلى ذلك تعثرت مفاوضات الحدود (٧٩) ، وأرسل العثمانيون قواتهم بقيادة الصدر الاعظم « محمد باشا » الى أذربيجان لمحاربة الصفويين ، وفرضوا حصارهم على قلعة « ايروان » ، غير أنهم لم يتمكنوا من دخولها (٨٠) بسبب قلة الامدادات تساقط الثلوج فرفعوا الحصار عنها وتوجهـــوا الـــى مدينة « وان » استعدادا لشن هجوم جديد بقيادة الصدر الاعظم « خليل باشا » الذي تقـــدم بجيشه وبرفقته عدد كبير من أمراء الكرجيين نحو تبريز فدخلوها بدون مقاومة ، غير أنهم سرعان ما تركوها بسبب خرابها وخلوها من المؤن لمواصلة الهجوم على المدن الفارسية الاخرى (٨١) .

شروط الصلـــح :

وقبل ان يستأنف العثمانيون هجومهم على الصفويين ، عرض « خليل باشا » على الشاه عباس شروطه لعقد الصلح بين الجانبين (٨٢) ، وبمقتضاها يقوم الشاه

بارسال خراج سنوي للعثمانيين يتراوح ما بين مائتين وثلاثمائة حمل من الحرير ، وان يعيد الشاه الى الدولة العثمانية جميع الاجزاء الغربية من « اذربيجـــان » و« أرمينيا » و« شكى » و« شروان » و« كرجستان » و« قره باغ » ، وان يرسل أحد أبنائه كرهينة لدى السلطان العثماني (٨٣) .

معاهدة ١٦١٨ :

لم يقبل الشاه عباس بشروط الصلح التي عرضها خليل باشا ، وصمم على ملاقاة العثمانيين ، فباغتهم الصفويون قبل أن تكتمل استعداداتهم ، وانزلوا بهم هزيمة قاسية غير متوقعة أجبرت خليل باشا على طلب الصلح ، فعقدت معاهدة جديدة بين الجانبين في ٢٧ سبتمبر عام ١٦١٨ (٨٤) ، اكدت شروط معاهدة عام ١٦١٢ ، وتعهد الشاه بالوفاء بتصدير مائة حمل من الحرير سنويا الى الـــدولة العثمانية ، مما اتاح الفرصة للعثمانيين للتفرغ لحروبهم ضد الاوروبيين ، ومما مكن الصفويين من مواجهة البرتغاليين في منطقة الخليج العربي واسترداد « قندرهار » من ايدي المغول (٨٥) .

بكـــر الصوباشي :

وعلى الرغم من توقيع معاهدة عام ١٦١٨ ، فان القتال لم يلبث أن استؤنف بين الجانبين مرة أخرى بسبب الاحداث التي أودت بحياة السلطان عثمان الثاني عام ١٦٢٢ وتنصيب السلطان مصطفى الاول مرة أخرى (٨٦) ، وخرج « بكـــر الصوباشي » أحد القادة العثمانيين على يوسف باشا حاكم بغداد العثماني وتولى السلطة عقب مقتله ، وأبدى استعداده للخضوع للشاه عباس متحديا بذلك الدولة العثمانيـــة (٨٧) .

وقد استغل الشاه تلك الفرصة ، فتوجه على رأس جيشه من اصفهان الى بغداد بحجة رغبته في زيارة العتبات المقدسة ، غير انه فوجيء بتغير موقف « بكر الصوباشي » تجاهه (٨٨) ، على اثر اعتراف الدولة العثمانية بولايته على بغداد ، ففتك برسل الشاه اليه ووطيء عمامة القزلباش التي حملوها كهدية له بقدميه(٨٩)، ولم يعد أمام الشاه سوى مهاجمة بغداد للاخذ بالثأر من حاكمها .

سقـــوط بغـــداد :

وازاء المقاومة العنيفة التي ابداها « بكر الصوباشي » رغم نجاح الصفويين في منع مساعدات حافظ باشا والي ديار بكر من الوصول اليه ، استمال الشاه عباس ابن حاكم بغداد اليه بعد أن وعده بأن يحل محل ابيه كحاكم عليها من قبله ،

فقام الابن بفتح ابواب القلعة ليلا ليندفع الجنود الصفويون الى داخلها ويستولوا عليها في ١٤ يناير عام ١٦٢٤ (٩٠) ، فانهارت مقاومة المدافعين عن المدينة واستسلموا للصفويين ، واقتيد حاكمها « بكر الصوباشي » مكبلا بالقيود لكي يلقى حتفه امام المواطنين ، كما اقتيد ولده محمد الى خراسان لكي يقتل هناك (٩١) .

اخضاع شمالي العراق :

ولم تكد تسقط بغداد في أيدي الصفويين ، حتى أمر الشاه عباس في مارس وابريل عام ١٦٢٤ بعض قواده بالتوجه الى شمالي العراق لاخضاعه لنفوذه ، فاستولى « زمان بك » على الموصل ، و«أحمد اردلان » على كركوك وشهرزور وسيطروا على معظم مناطق العراق العربي (٩٢) . غير ان السلطان العثماني مراد الرابع لم يتح للشاه عباس الفرصة لكي ينعم بالنصر الذي تحقق على يديه ، فأمر حافظ احمد باشا واليه على ديار بكر باسترداد العراق من أيدي الصفويين ، فاستجاب لذلك ، وتقدم على رأس جيشه فاستولى على كربلاء والحلة ، وتقدم نحو بغداد في نوفمبر عام ١٦٢٥ وحاصرها ، غير انه لم يتمكن من دخولها بسبب المقاومة العنيفة التي واجهها من قبل المدافعين عنها (٩٣) ، مما اضطره الى طلب العون من الدولة العثمانية ، غير ان الصفويين حالوا بينه وبين وصول تلك الامدادات اليه (٩٤) ، وقد شجعهم هذا على تشديد الضغوط عليه ، فاضطر حافظ باشا الى سحب قواته .

وازاء ذلك عرض العثمانيون على الشاه عباس عقد صلح بين الطرفين يعترف العثمانيون بمقتضاه للصفويين بسلطانهم على بغداد والاماكن المقدسة في العراق ، فوافق الشاه على ذلك (٩٥) .

استرداد العراق :

لم يهنأ الصفويون بحكم العراق ، فسرعان ما سعى العثمانيون الى استرداده عقب وفاة الشاه عباس في ١٩ يناير عام ١٦٢٩ م (٩٦) ، عندما توجه الصدر الاعظم « خسرو باشا » بقواته الى منطقة « شهرزور » حيث حصل على دعم عدد من الامراء الاكراد ، وتمكن من انزال الهزيمة بالصفويين في مهربان بالقرب من همذان ، وكان في نيته التوجه الى العاصمة اصفهان ، غير ان السلطان « مراد الرابع » أمره بالتوجه الى بغداد فحاصرها في ٢٨ سبتمبر عام ١٦٣٠ ، وعندما لم ينجح في اقتحامها بسبب قلة المؤن ، رحل عنها (٩٧) .

دخول بغداد وعقد معاهدة ١٦٣٩ :

ومع ذلك لم يتخل العثمانيون عن تكرار محاولتهم لاسترداد العراق ، فأعدوا حملة عسكرية قادها السلطان مراد الرابع في مايو عام ١٦٣٨ توجهت الى حلب وديار بكر ، توقف بالموصل لاستقبال « خرم شاه » مبعوث ملك المغول لكي يتفق معه على قيام المغول بمحاربة الصفويين في الجبهة الشرقية لاسترداد « قندهار » في الوقت الذي يكون فيه هؤلاء مشغولين بصد الهجوم العثماني على مدينة بغداد ، مما دفع الشاه الصفوي الى التحالف مع الدول الاوروبية ، غير أن هذا لم يضعف من عزم العثمانيين ، فحاصروا بغداد وتمكنوا من اقتحام اسوارها ودخولها في ٢٥ ديسمبر ١٦٣٨ بعد حصار دام أربعين يوما ، واضطر الصفويون ازاء ذلك الى عقد « معاهدة زهاب » للصلح مع العثمانيين في ١٧ مايو عام ١٦٣٩ تم بموجبها تحديد الحدود بين الطرفين (٩٨) ، وتحقق للعثمانيين بمقتضاها استرداد نفوذهم على العراق ، ذلك النفوذ الذي استمر قائما حتى الحرب العالمية الاولى (٩٩) .

وليس هناك من شك في أن تلك الحروب الطويلة التي نشبت بين الدولتين المسلمتين الكبيرتين الصفوية والعثمانية قد أفادت الدول الاوروبية كثيرا ، فلقد استغل البرتغاليون تلك الفرصة لكي يوطدوا وجودهم على حدود الدولة الصفوية المطلة على الخليج العربي ليحتكروا وحدهم تجارته مدة قرن من الزمان ، كما أفادت تلك الحروب الدول الاوروبية التي وجدت فيها فرصة لكي تلتقط أنفاسها ولتجمع صفوفها لمحاربة العثمانيين ، مما عاق هؤلاء عن مواصلة فتوحاتهم في القارة الاوروبية ، ولولا تلك الحروب لواصل العثمانيون فتوحاتهم في تلك القارة ولتغير وجه تاريخ اوروبا في العصر الحديث .

ثانيا : مواجهة الدولة الاوزبكية

واجهت الدولة الصفوية العديد من تحديات الدولة الاوزبكية التي كانت قد امتدت بنفوذها في الشرق الى « فرغانة » و« كاشغر » و« الختن » ، وفي الجنوب الى « بلخ » و« طخارستان » و« بدخشان » ، اما في الغرب فقد امتدت الى « استراباد » (١٠٠) ، وتطلعت منها الى « خراسان » التابعة للدولة الصفوية ، مما اضطر الشاه طهماسب الاول الى الخروج لمواجهة « الاوزبك » Ozbeg ، فدخل معهم في معركة « جام » Jam عام ١٥٢٨ التي دفع فيها الشاه بجيش بلغ قوامه ٢٤ الف مقاتل واستخدم فيها المدفعية الجديدة التي زود جيشه بها . وعلى الرغم من ضخامة جيش الاوزبك ، فقد تمكن طهماسب من تحرير « هراة » ورفع حصار « الاوزبك » الطويل عنها ، ثم لم يلبث ان أخذ يعد عدته لارسال حملة كبيرة الى ترانسكينا ، غير ان الزحف العثماني نحو اذربيجان في عهد سليمان القانوني سرعان ما أجبره على التحول نحو الغرب لمواجهة التهديد العثماني (١٠١) .

تهديدات الاوزبـــك :

واصل « الاوزبك » تهديداتهم للدولة الصفوية مستغلين فرصة الضغـــط العثماني من ناحية وانشغال الصفويين بالخلافات التي نشبت بين كبـــار القـــادة القزلباش من ناحية اخرى ، تلك الخلافات التي جعلت « عليقليخان » يبعث برسله الى حاكم الدولة الاوزبكية «عبدالله خان» لكي يتقدم بقواته الى خراسان للاستيلاء عليها ويعده بتقديم عونه ومساعدته (١٠٢) ، فاستجاب الحاكم الاوزبكي لذلك وتحرك على رأس قواته نحو هراة ، غير ان « عليقليخان » تراجع عن وعـــده وتصدى له لوقف زحفه ، وازاء تقاعس المسؤولين في قزوين عن تقديم العون له ، دخل « الاوزبك » هراة وفتكوا بعدد كبير من القزلباش وفي مقدمتهم قائدهم نفسه في فبراير عام ١٥٨٩ (١٠٣) .

ولم يكد الشاه عباس الاول يوطد سلطته ، حتى خرج على رأس جيشه من عاصمة بلاده « قزوين » لمواجهة الاوزبك ، واستغل تلك الفرصة لكي يتخلص من قائد جيشه « مرشد قليخان » وكيل السلطنة (١٠٤) ، بسبب تراخيه وتهاونه في تقديم العون لعليقليخان (١٠٥) ، غير انه لم يلبث ان تراجع عن مواجهة الاوزبك لكي يتصدى للعثمانيين الذين كانوا قد تقدموا بقواتهم نحو « قره باغ » بأذربيجان بقيادة « فرهاد باشا » ونحو همدان ونهاوند بقيادة « جغال » ، ولمواجهة الصراع القائم بين قواد الغزلباش وحكام الاقاليم (١٠٦) ، ولم يكد يتخلص من هـــؤلاء واولئك حتى تقدم نحو خراسان عام ١٩٥٤ لمواجهة الاوزبك الذين كانوا قد نجحوا في فرض الحصار على « مشهد » ، غير أن الظروف لم تكن مواتية له بسبـــب مرضه (١٠٧) ، وانتشار الوباء بين صفوف قواته ، فاستغل الاوزبك تلك الفرصة وشددوا حصارهم على المدينة وتمكنوا من دخولها والفتك بعدد كبير من سكانها ، كما استولوا على كل من « خواف » و « باخرز » و « بوشنج » و « غوريـــان » وقلعة « اسفرايين » ، وتوغلـــوا في الاراضي الفارسيـــة شرقا حتى مدينـــة « يزد » (١٠٨) .

ورغبة من « الاوزبكيين » السنة في ايقـــاع مزيد مـــن الهزائـــم بالصفويين الشيعة ، سعوا الى الحصول على مساندة العثمانيين لهم لكي يواجه الصفويون الشيعة بالاوزبكيين السنة من الشرق وبالعثمانيين السنة من الغرب ، وبعـــث قائد الاوزبك « عبد المؤمن خان » بحاجبه « محمد قللي » الى السلطان « مـــراد الثالث » لكي يبلغه بانتصاراته وعزمه على مواصلة الزحف في الاراضي الفارسية ، غير أن العثمانيين كانوا عازفين عن ذلك ، وآثروا الدخول في صلـــح مـــع الشاه عباس الاول (١٠٩) الذي عول على تصفية الخطر الاوزبكي الزاحف على حـــدود بلاده الشرقية .

هجـــوم الشاه عباس :

وما ان انتهى الشاه عباس من استعداداته لملاقاة « الاوزبك » ، حتـــى خرج على رأس جيش كبير توجه به الى خراسان ، فعسكر بقواته عند مدينـــة « بسطام » Bestam ، ومنها أخذ يشق طريقه نحو « مشهد » التي احتشد الاوزبكيون فيها استعدادا لمواجهـــة الصفويين الذيـــن تمكنوا مـــن استـــرداد « نيسابور » و « سيزوار » و « جاجرم » Jajarm ، واصبحوا على مشارف مدينة مشهد ، غير انهملم يهاجموها بسبب برودة الشتاء وتساقط الثلوج (١١٠) .

استغل الاوزبكيون فرصة توقف القتال مع الصفويين ، فهاجمـــوا « مرو » و « خوارزم » واستولوا عليهما مما اضطر واليهما الى طلب المساعدة من الشاه عباس ، فاستجاب لذلك ، وتوجه على رأس جيشه عام ١٥٩٦ نحو خراســـان فاسترد قلعة « اسفرايين » و « سيزوار » وتوجه الى « نيسابور » ومنها عـــاد الى قزوين لكي يستعد من جديد لمواجهة الاوزبكيين (١١١) ، فأعد قواته التـــي تمركزت في « بسطام » عام ١٥٩٧ وتوجهت من هناك وعلى رأسها « فرهادخان » نحو « نيسابور » فاستعادتها وتقدمت بعد ذلك نحـــو « مشهد » فدخلتها عـــام ١٥٩٨ (١١٢) في اعقاب مقتل « عبد المؤمن خان » حاكم الاوزبك وتولى « بير محمد خان » حكم بخارى و « عبد الامين خان » حكم بلخ و « دين محمد خـــان » حكم هراة (١١٣) .

سقـــوط هـــراة :

وهكذا تهيأت الظروف أمام الشاه عباس لكي يسترد ممتلكات بلاده مـــن حكام الاوزبك ، فوجه جيشا بقيادة « فرهاد خان » لاسترداد « هراة » ، وعندما لم يتمكن من ذلك أمر بقتل قائده ، وخرج على رأس جيشه لمواجهـــة الاوزبكيين ، فجرت معركة حامية بين الجانبين سقطت على اثرها « هراة » في ايـــدي الشاه عباس وراح ضحيتها حاكمها « دين محمد خان » وأربعة آلاف من رجاله (١١٤) .

وبسقوط « هراة » تمكن الصفويون من اخراج الاوزبكيين من خراسان ، ولـــم يكتفوا بذلك فزحفـــوا عام ١٦٠٢ نحـــو بلاد الاوزبك واستولوا علـــى « مرو » (١١٥) ، وحاصروا « بلخ » غير انهم لم يتمكنوا من الاستيلاء عليها ، ومع ذلك فقد واصل الصفويون حملاتهـــم على الاوزبـــك وامتـــدوا بسلطانهم الـــى « اوكسوس » Oxus مؤمنين بذلك حدودهم مع دولة الاوزبك في بلاد ما وراء النهر (١١٦) ، وقد زاد اطمئنان الصفويين على حدودهم مع الاوزبك عندما قام الشاه عباس الاول بنقل عدد كبير من أفراد القبائل الكردية من كردستان الـــى حدود خراسان الشرقية (١١٧) ، ليكونوا بمثابة قوة عازلة تفصل بينهم وبـــين

الاوزبك وتؤمن حدودهم الشرقية مع دولة الاوزبك اذا مـــا استأنف الصفويـــون قتالهم ضد الدولة العثمانية عبر حدودهم الغربية .

ثالثا : التصدي لامبراطورية المغول في الهنـــد

وفي الوقـــت الـــذي كان فيه الصفويـــون يواجهـــون الاوزبـــك في الشرق والعثمانيين في الغرب ، كان عليهم التصدي لامبراطورية المغول في الهند ، تلـــك الامبراطورية التي نجح في تأسيسها « ظهير الدين محمد » المشهور باسم « بابر » Bâbar اي (الاسد) ـــ وهو سليل اسرة تيمورلنك ـــ والتي امتدت في عهده وعهد خلفائه لكـــي تشمل « افغانستـــان » و « بلوجستان » و « سمرقنـــد » و « كشفار » و « قندهار » و « دلهي » ومعظم الاجزاء الشمالية من الهند .

وقد اقام المغول علاقات طيبة مع الدولة الصفوية منذ تأسيسها على يـــد الشاه اسماعيل الصفوي ، فوعد « بابر » الشاه بأن تكـــون الخطبة والعملـــة باسمه ، ولبى الشاه بدوره دعوة « بابر » فقـــدم مساعداته له للاستيلاء علـــى سمرقند في اكتوبر عام ١٥١١ ثم لم يلبث ان استولى على بخارى عقـــب ذلك ، وعندما عزم « الاوزبك » على اخراجه من بخارى في مايو عام ١٥١٢ ، بعث اليه الشاه اسماعيل الصفوي ببعض قواته لمساعدته (١١٨) ، غير ان تلك العلاقات الطيبة لم تلبث ان ساءت عندما استولى الشاه طهماسب الاول على « قندهار » عام ١٥٣٥ (١١٩) ، وظلت العلاقات كذلك في عهدي الشاه « اسماعيل الثاني » والسلطان « خدا بنده » .

سقـــوط قندهـــار :

وعندما خلف الشاه عباس الاول والده في العرش ، ازدادت العلاقات سوءا بين الصفويين والمغول بسبب قيام الشاه المغولي « جلال الدين اكبر » (١٥٥٦ ـــ ١٦٠٥) باسترداد « قندهار » عام ١٥٩٠ وتعيـــين « شاهي بيك الجغتائي » Sahi Beg Khan Cagatay حاكما من قبله عليهـــا مستغلا فرصـــة انشغال الصفويين بمواجهة هجوم الاوزبك والعثمانيين على بلاده مـــن الشرق والغرب في وقت واحد ، ولم يشأ الشاه عباس التصدي للمغول وقتذاك فهادنهم وخطب ودهم على امل مساعدته في حربه ضد الاوزبك ، غير انه لم يحصل علـــى تلك المساعدة خشيـــة ان ينقض المغول معاهـــدة الصداقة الموقعة بينهم وبـــين الاوزبـــك (١٢٠) .

استعادة قندهـــار :

ومع ذلك ، فقد ظل الشاه عباس يترقـــب الفرصـــة المناسبة لاستعـــادة « قندهار » من ايدي المغول ، وقد لاحت له تلك الفرصة بالفعل في اعقاب وفـــاة الشاه « أكبر » وتولـــى ولده « نور الدين محمد سالـــم جهانكير » (١٦٠٥ ــ ١٦٢٨) (١٢١) ، فأمر باعداد قواته التي توجهت الى « قندهار » واستولت في طريقها على « بست » (١٢٢) ، بعد أن أوقعت الهزائم بحاكمها المغولي « شاهي بيك » ، غير أن القتال بين الجانبين لم يلبث أن توقف بسبب انشغالهما بمشاكلهما الداخلية ، فتحسنت العلاقات بين الصفويين والمغول ، وتبادل الجانبان الهدايا وارسال الوفود والسفراء (١٢٣) ، وكان الصفويون يهدفون من وراء ذلك الـــى اقناع المغول بالتخلي عن « قندهار » بالوسائل السلمية ، وعندما فشلوا في ذلك بعثوا بقواتهم اليها فحاصروها واستولوا عليهـــا عام ١٦٢٢ مستغلين فرصـــة انشغال المغول بالخلافات التي كانت قائمة وقتـــذاك بـــين « جهانكير خـــان » (١٦٠٥ ــ ١٦٢٨) ١٢٣ وولده وولي عهـــده الامير خـــرم المعـــروف باســـم « شاهجهان » (١٢٤) .

رابعا : مواجهة التحدي البرتغالي

لم يكد يصل البرتغاليون الى الهند في اغسطس عام ١٤٩٨ عقب اكتشافهم طريق رأس الرجاء الصالح ، حتى أخذوا يتطلعون الى سواحل شبه الجزيـــرة العربية لتحقيق أهداف صليبية واقتصادية . واذا كان البرتغاليون قد فشلوا في تحقيق اهدافهم الصليبية بسبب المقاومة العنيفة التي تعرضوا لها من قبل القوى الاسلامية المختلفة ، فقد حققوا نجاحا فيما يتعلق بأهدافهم الاقتصادية ، وذلـــك عندما اجتازوا طريق الخليج العربي واستولوا علـــى أجزاء هامة من سواحلـــه الشرقية والغربية وتمكنوا من احكام قبضتهم عليـــه بسيطرتهـــم علـــى مدخلـــه واحتلالهم اهم مراكزه المطلة عليه وفي مقدمتها هرمز (١٢٥) .

وتذكر المصادر ان المواطنين في هرمز احتشدوا لمواجهـــة البرتغاليـــين واستعدوا للمقاومة ، وعندما جاء « البوكيرك » كان في المدينة ٣٠ الف محارب من بينهم ٤٠٠٠ فارس من ذوي الحذق في رمي السهام ، ورابطت امام الميناء ٤٠٠ سفينة من بينها ٦٠ سفينة كبيرة يعمل عليها ٢٥٠٠ رجلا فضلا عن ٢٠٠ سفينة أخرى وعدد من القوارب المحملة بالمدافع الصغيرة ورماة السهام ، مما أثار خوف البرتغاليين ورعبهم ، فحاولوا اقناع قائدهم البوكيرك بالعدول عن قصده ، وعندما لم يستمع اليهم تمردوا عليه ، غير أنه سرعان ما واجه تمردهم واستعد لمهاجمـــة المدينة ، فدارت معركة كبيرة تحقق النصر فيها للبرتغاليين ، واضطر ملكهـــا سيف الدين الى توقيع اتفاق معهم في سبتمبر عام ١٥٠٧ (١٢٦) .

اتفـــاق عـــام ١٥٠٧ :

وبمقتضى اتفاق عام ١٥٠٧ قبل « سيف الدين » الخضوع للتبعية البرتغالية، وتعهد بدفع غرامة مالية واتاوة سنوية كبيرة واعفاء سلع البرتغاليين من الرسوم، كما تعهد بمنح البرتغاليين حق منع السفن المحلية من مزاولة التجارة في الخليـــج الا بعد الحصول على اذن منهم (١٢٧) .

وعلى الرغم من سقوط هرمز في أيدي البرتغاليين ، فقد بعث الشاه اسماعيل الصفوي الى « سيف الدين » يطالبه بدفع الخراج السنوي للصفويين واعلان تبعيته لهم ، غير ان ظروف « سيف الدين » وقتذاك لم تكن لتسمح له بالاستجابة لطلب الصفويين ، وعندما علم البرتغاليون بذلك ، وجهوا تهديداتهم الى ملك هرمز وافصحوا عن نيتهم في عزله اذا ما استجاب لرغبة الصفويين وقام بدفع الخراج لهم ، وطلبوا من « سيف الدين » ان يبعث الى الشاه اسماعيل الصفوي بقذائـــف بعض المدافع والبنادق ، وان يبلغه بأن بلاده قد خضعت للعرش البرتغالي وان الخراج الذي يطلبه لا يكون الا من هذا النوع (١٢٨) .

قلعـــة هرمـــز :

وتذهب المصادر الى ان القائد البرتغالي « البوكيرك » ظل مقيما في هرمز لاكثر من عام ، غادر المدينة بعد ذلك متوجها الى الهند في نوفمبر عام ١٥٠٨ بعد ان قام بوضع اساس قلعة Nassa Sanhora da Victoria وتأسيس وكالة تجاريـــة للبرتغاليين هناك مكنت هؤلاء من فرض سيطرة كاملة على مرور السلع التجارية بين الخليج العربي والمحيط الهندي (١٢٩) .

فكـــرة التحالف البرتغالي الصفوي :

وليس هناك من شك في ان وصول البرتغاليين الى منطقة الخليج العربي وسيطرتهم على أجزاء من السواحل الفارسية قد جعلهم على معرفة بظروف الدولة الصفوية وبالنزاع القائم بينها وبين الدولة العثمانية ، ومن ثم سعوا الى كسب صداقة الصفويين والتحالف معهم لكي يتسنى لهم تحقيق مآربهم في المنطقة ، ولذا لم يكد يخلف البوكيرك « دالميدا » في منصب نائب ملك البرتغال في الهند عام ١٥٠٩، حتى بعث برسالة الى الشاه اسماعيل الصفوي يقول فيها :

« اني أقدر لك احترامك للمسيحيين في بلادك ، واعرض عليك الاسطول والجند والاسلحة لاستخدامها ضد قلاع الترك .. واذا اردت ان تنقض على بلاد العرب أو ان تهاجم مكة ، فستجدني بجانبك في البحر الاحمر امام جده أو في عدن أو في البحرين او القطيف او البصرة ، وسيجدني الشاه بجانبه على امتداد الساحل الفارسي وسانفذ له كل ما يريد ... » (١٣٠)

اتفاقيـــة هرمز عام ١٥١٥ :

غير ان الاحداث سرعان ما أجلت فكرة التحالف التي طرحها « البوكيرك » عدة سنوات ، وجد بعدها القائد البرتغالي الفرصة سانحة امامه لتحقيق ذلك في أعقاب القلاقل والاضطرابات التي شهدتها هرمز والتي وقع خلالها ملكها في أسر الثائرين الذين خلعوا ولاءهم للبرتغاليين وابدوا رغبتهم في الارتباط بالصفويين ، فتوجه البوكيرك من الهند على راس أسطول من ٢٧ سفينة في فبراير عام ١٥١٥ وقام بقصف ميناء هرمز ، فأفرج الثائرون عن ملكهم الذي تفاوض مع البرتغاليين واتفق معهم على تسليمهم قلعة المدينة ، وذلك في الوقت الذي كان قد قدم فيه مبعوث الشاه اسماعيل الصفوي للتفاوض مع البرتغاليين ، وقد انتهت المفاوضات الى توقيع اتفاقية هرمز عام ١٥١٥ التي خضع بمقتضاها ملك هرمز للبرتغاليين وذلك في مقابل قيامهم بمساعدة الصفويين في الاستيلاء على البحرين والقطيف ومعاونة الشاه في القضاء على الحركات الانفصالية التي قام بها البلوش في اقليم مكران ، والوقوف الى جانبهم في نزاعهم ضد العثمانيين واعادة « توران شاه » الى هرمز نائبا عن « عمانويل » ملك البرتغال (١٣١) .

وفي تقديرنا ان اتفاقية هرمز عام ١٥١٥ لم تكن استسلاما من جانب الصفويين للبرتغاليين بقدر ما كانت نوعا من المهادنة بين الجانبين : فالبرتغاليون قبلوا بهذه الاتفاقية لكسب جانب الصفويين ، وللحصول على الهدوء الذي يرغبونه من جهتهم لكي يتفرغوا لمسؤولياتهم الاخرى ، والدولة الصفوية كانت قد خرجت لتوها من حربها ضد العثمانيين منهكة القوى على اثر هزيمتها في « شالديران » و« تبريز » عام ١٥١٤ ، ومن ثم لم تكن الدولة الصفوية راغبة في الدخول في مجابهة ضـــد البرتغاليين قد تسفر عن هزيمة اخرى لا تقدر عليها او تطيق تحملها ، ولذا رغبت في تجميد نزاعها مع البرتغاليين الى وقت آخر لكي تتفرغ لمواجهة العثمانيين ، فاذا ما انتصرت عليهم أو تمكنت من مهادنتهم ، اصبح في امكانها التفرغ للبرتغاليين لاخراجهم من مراكزهم التي اقاموها على حدود بلادهم في منطقة الخليج العربي .

ثـــورة عـــام ١٥٢١ :

وعلى الرغم من توقيع اتفاقية هرمز عام ١٥١٥ ، لم ينعم البرتغاليون بالهدوء بسبب ثورة المواطنين التي اشعلوها ضدهم في هرمز والبحرين وصحار وقلهـــات للاطاحة بهم في ٣٠ نوفمبر عام ١٥٢١ (١٣٢) ، وعندما عجزت الحاميات البرتغالية عن مواجهتها ، جاءتهم المساعدات العسكرية من « جوا » بالهند بقيادة «دوم لويس دي منزيس » Dom Luiz de Menézes شقيق نائب الملك في فبراير عام ١٥٢٢ حيث تمكن البرتغاليون من استعادة نفوذهم المنهار ،وعقدوا اتفاقا مع حاكم هرمز الجديد في ٢٣ يوليو عام ١٥٢٣ .. تخول للبرتغاليين حق فرض سيطرتهم الكاملة على بـــلاده (١٣٣) .

استقبال وفود الدول الاوروبية :

وفي الوقت الذي كان البرتغاليون يوطدون نفوذهم في المنطقة المتاخمة للدولة الصفوية ، كان الصفويون يواجهون « الاوزبك » في الشرق ويحققون انتصارات حاسمة عليهم ، كما كانوا يتطلعون الى مواجهة العثمانيين في الغرب ويسعون الى الحصول على تأييد الدول الاوروبية ومؤازرتها لهم في حروبهم المقبلة ضدهم ، فتبادلوا استقبال الوفود مع تلك الدول (١٤٣) خصوصا اسبانيا (١٣٥) التي أصبحت مسؤولة عن ممتلكات البرتغاليين منذ عام ١٥٨٠ لمدة ستين عاما ، حيث حرصت تلك الوفود على تقديم الوعود للشاه عباس الاول بتقديم العون ضد الدولة العثمانية في مقابل السماح للمبشرين بالعمل في بلاده ، وتحسين معاملته للمسيحيين في فارس ، والسماح لهم بأداء شعائرهم الدينية ، واعادة البحرين التي أجبر البرتغاليون على الخروج منها عام ١٦٠٢ بمساعدة سفن شركة الهند الشرقية البريطانية ، ورفع الحصار عن «جمبرون» Gombroon ، وقصر تجارة الحرير الفارسي على التجار الاسبان والبرتغاليين (١٣٦) .

غير ان تبادل الوفود لم يسفر عن شيء سوى تزايد التوتر في العلاقات بين الجانبين ، في الوقت الذي كان فيه الصفويون قد أخذوا يوطدون علاقاتهم مع ممثلي شركة الهند الشرقية الانجليزية ، مما أدى الى تفاقم الموقف بين الصفويين والاسبان ، وانتهى الامر بحدوث القطيعة وقيام الحرب لتحرير المناطق التي استولى عليها البرتغاليون .

تحرير المناطق المستعمرة :

بدأت الدولة الصفوية حركة تحرير المناطق المستعمرة من ايدي البرتغاليين مع مطلع القرن السابع عشر ، ولكي يتحقق له هذا عمل الشاه عباس الاول على تدعيم وجوده في اقليم فارس المطل على الساحل الشرقي للخليج العربي ، فكلف حاكم الاقليم بانهاء الحكم الذاتي الذي يحظى به اقليم « لار » المجاور والعمل على ضم هذا الاقليم اليه ، واعتبر الشاه عباس ذلك خطوة أساسية لتدعيم مركز بلاده في منطقة الخليج العربي لكي يتسنى له القيام بعملياته العسكرية ضد البرتغاليين (١٣٧) ، ثم لم يلبث ان تطلع الشاه الى اخراج البرتغاليين من البحرين خصوصا في أعقاب الاتصالات التي أجراها « ركن الدين مسعود » حاكم البحرين مع « الهردي خان » حاكم فارس والتي عبر خلالها حاكم البحرين عن رغبته في الحصول على مساعدات « اللهوردي خان » للتخلص من نفوذ البرتغاليين .

أخراج البرتغاليين من البحرين :

استجاب الصفويون لرغبة حاكم البحرين ، فبعث اليه « اللهوردي خان » حاكم اقليم فارس بقواته الى البحرين بقيادة« معين الدين فالي»
حيث تمكنت تلك القوات من الاستيلاء على البحرين عام ١٦٠١ (١٣٨) ، مما أثار حاكم هرمز البرتغالي فارسل حملتين احداهما برية بقيادة الوزير « شرف الدين لطف الله » والاخرى بحرية لفرض حصارهما على البحرين (١٣٩) ، غير ان حاكم فارس لم يلبث ان بعث ببعض قواته الى ميناء « جمبرون » لاجبار البرتغاليين على رفع حصارهم عن البحرين لكي يتسنى لهم التصدي لتلك القوات ، وقد استغل « اللهوردي خان » فرصة انسحاب البرتغاليين من البحرين واشتباكهم مع القوات الفارسية أمام ميناء « جمبرون » ، فقام باكمال سيطرته على البحرين وتخليصها من أيدي البرتغاليين عام ١٦٠٢ (١٤٠) بعد احتلال عام ما يقرب من قرن .

طـــرد البرتغاليين من « جمبرون » :

ولم يكد ينجح الصفويون في اخراج البرتغاليين من البحرين عام ١٦٠٢ ، حتى تطلعوا الى طردهم من ميناء « جمبرون » القريب من جزيرة هرمز ، ذلك الميناء الذي أقام فيه البرتغاليون قلعة كبيرة واتخذوا منه قاعدة بحرية ومركزا لتحصيل الرسوم من السفن الراغبة في دخول منطقة الخليج العربي (١٤١) .

واذا كان الصفويون قد فرضوا حصارهم على « جمبرون » عام ١٦٠١ لاجبار البرتغاليين على رفع حصارهم عن البحرين ، فانهم سرعان ما رفعوا الحصار عنه على اثر سقوط البحرين في أيديهم ، ثم لم يلبثوا ان حاصروه في العام التالي ١٦٠٢، ولم يرفعوا ذلك الحصار عنه الاستجابة لطلب المبعوث الاسباني « انتونيو دي جوفيا » على أمل قيام الاسبان بتقديم العون العسكري والفني للشاه لمحاربة العثمانيين (١٤٢) الذين كانوا قد اشتبكوا معه في معارك عنيفة في منطقة اذربيجان، وعندما لم يحصل على مساعدتهم ، عول على الاخذ بالثأر منهم ، فكلف قائده « الهوردي خان » باعداد حملة تولى قيادتها ابنه « اما مقليخان » لاخراج البرتغاليين من ميناء « جمبرون » عام ١٦١٣ ، وعلى الرغم من فشل تلك الحملة في انجاز مهمتها ، فقد عاودت محاولتها في العام التالي ، وتمكنت من اخراج البرتغاليين منها بعد ان هدمت قلعتهم فيها لكي تحل محلها قلعة جديدة ، واقام الصفويون على مقربة من « جمبرون » ميناء « بندر عباس » ، ذلك الميناء الذي اكتسب أهمية كبيرة عبر التاريخ الحديث والمعاصر (١٤٣) .

تطلع الصفويون عقب سقوط « جمبرون » عام ١٦١٤ الى اخراج البرتغاليين من جزيرة هرمز ذات الموقع الاستراتيجي الذي مكن البرتغاليين من فرض احتكارهم

التجاري على المنطقة وذلك بالزام السفن الاجنبية بالحصول على ترخيص من البرتغاليين لكي يتسنى لها دخولها ، مما اضطر الصفويين الى بيع منتجات بلادهم من الحرير الى البرتغاليين والاسبان بأدنى الاسعار لعدم تمكن الدول الاخرى من منافستهم والقضاء على احتكارهم لتجارة الحرير (١٤٤) .

ورغبة من الشاه عباس في كسر هذا الاحتكار البرتغالي لتجارة الحرير ، أفسح المجال أمام ممثلي شركة الهند الشرقية الانجليزية للقدوم الى بلاده لشراء الحرير ، وعقد معهم صفقات تجارية مربحة شجعته على منحهم حق احتكار الحرير في جنوبي بلاده . وتذهب المصادر الى ان الشاه عباس الاول اقدم على ذلك لكي يحصل على مساندة الانجليز له ضد البرتغاليين خصوصا في أعقاب الهزائم المتكررة التي الحقها هؤلاء بهم في ميناء « سورات » بالهند في الفترة ما بين ١٦١٢ و١٦١٥ وهدوء جبهته القتالية مع العثمانيين بتوقيع معاهدة الصداقة والصلح معهم عام ١٦١٨ (١٤٥) .

هكذا توافرت الظروف التي أدت الى تدهور العلاقة بين الدولة الصفوية واسبانيا المسؤولة عن المستعمرات البرتغالية ، وتزايد هذا التدهور عندما كلف « فيليب الثالث » ملك اسبانيا مبعوثيه الى الشاه عباس الاول بمطالبته بالانسحاب من البحرين وميناء « جبرون » والسماح لرعاياه دون غيرهم من الاوروبيين باحتكار تجارة الحرير ، والايعاز اليه بعدم التعرض لجزيرتي قشم وهرمز ، فتفجر العداء بين الجانبين وأخذ كل منهما يستعد للحرب (١٤٦) .

الاستعانة بالانجليز في تحرير هرمز :

وفي الوقت الذي أصدر فيه الشاه عباس الاول تعليماته الى « اما مقليخان » حاكم اقليم فارس بحشد قواته البالغ عددها عشرة الاف جندي لخوض الحرب ضد القوات البرتغالية ، كان الاسبان يهددون بمواجهة السفن الانجليزية التي قد تقدم مساعداتها للفرس لمهاجمة هرمز (١٤٧) . وازاء عجز الصفويين عن توفير السفن الحربية القادرة على مجابهة السفن البرتغالية خلال قيام قواتهم البرية بمهامها للاستيلاء على جزيرة هرمز ، أمر الشاه عباس « اما مقليخان » حاكم فارس بالاتصال بمسؤولي شركة الهند الانجليزية للحصول على مساعداتها ، غير أنهم ترددوا في اتخاذ قرار بذلك خشية الاقدام على عمل قد يسيء الى العلاقات الطيبة التي كانت تربط بين ملكي انجلترا واسبانيا وقتذاك ، وخوفا من الفشل في مواجهة السفن البرتغالية مما قد يضعف من مركز الشركة الذي كان قد تدعم في أعقاب الانتصار الذي احرزته في « سورات » بالهند ، وميناء « جاسك » بالخليج العربي في ديسمبر عام ١٦٢٠ (١٤٨) .

وازاء تردد مسؤولي شركة الهند الشرقية الانجليزية ، اضطر الشاه عباس

الى توجيه تهديداته بالغاء كافة الامتيازات التي منحها لهم ، وحرمان شركتهم من الحصول على حرير بلاده ، وغلق أسواق فارس في وجه البضائع الانجليزية ما لم تشاركه في محاربة القوات البرتغالية . وعلى ذلك لم يجد مسؤولو الشركة امامهم من سبيل سوى الرضوخ لطلب الشاه (١٤٩) ، واجتمع لهذا الغرض « امـا مقليخان » حاكم فارس بمسؤولي الشركة في « ميناب » حيث اتفق الجانبان على التعاون معا في سبيل اخراج البرتغاليين من هرمز وفق الاسس التالية : (١٥٠)

١ ــ ان يقتسم الجانبان نفقات القتال ضد البرتغاليين والاسلاب التي تقع في أيديهما خلاله .

٢ ــ توزيع الاسرى بين الجانبين ، يختص الانجليز بالاسرى المسيحيين ، والفرس بالاسرى المسلمين .

٣ ــ ان تؤول قلعة هرمز الشهيرة بكل ما فيها من اسلحة وذخائر للانجليز ، في الوقت الذي يحق فيه للفرس اقامة قلعة مماثلة هناك .

٤ ــ اعفاء السلع الانجليزية من دفع أية رسوم أو ضرائب ، واقتسام عائدات هرمز بين الطرفين .

٥ ــ قيام الفرس بدفع نصف نفقات السفن من المواد الغذائية ورواتـب الجنود الانجليز ، والتكفل بتوفير ما يلزم من البارود .

وتذهب المصادر الى ان الصفويين قبلوا بهذه الاسس بعد ان ادخلوا عليها بعض التعديلات ، فاتفق على ان يتسلم الصفويون الحكام البرتغاليين في قسم وهرمز كأسرى لهم ، وان يشترك الجانبان في الاستيلاء على قلعة البوكيرك في هرمز ، وان تعفى السلع الفارسية مستقبلا من الرسوم والضرائب شأنها في ذلك شأن السلع الانجليزية ، والا يجبر أحد الطرفين الاسرى على تغيير معتقداتهـم الدينية ، وان تقوم سفن شركة الهند الشرقية الانجليزية بتطهير ممرات الخليـج والدفاع عن هرمز مقابل قيام فارس بدفع نصف تكاليف هذه الاجراءات (١٥١) ، وقد قام الطرفان بالتوقيع على تلك الاسس في ٩ يناير عام ١٦٢٢ .

ولم يكد يعلم بحارة شركة الهند الشرقية الانجليزية بخبر هذا الاتفاق ، حتى أبدوا اعتراضهم ، واظهروا تمردهم ، غير أنهم سرعان ما رضخوا للامر الواقع بعد أن لوح الفرس لهم بالمكافآت التي سيحصلون عليها اذا ما شاركوهم في قتال البرتغاليـين .

عمل البرتغاليون على افشال اتفاق الصفويين والانجليز بشأن هرمـز ، فاتصلوا بالصفويين وناشدوهم الهدوء والتريث والالتزام بالصداقة المتينة التي تربط في فارس وبينهم منذ القدم ، غير أن « اما مقليخان » حاكم فارس أصر على

موقفه ، كما اتصل البرتغاليون بالانجليز ، غير انهم لم يستجيبوا لندائهم بأن وحدة الدين المسيحي بين الجانبين ترفض العداء بينهما ، فأصر الانجليز على موقفهم خاصة وان مسئولي الشركة الانجليزية وجدوا ان التعاون الصفوي الانجليزي فرصة سانحة لكي يرث الانجليز الوجود البرتغالي في المنطقة (١٥٢) .

وازاء فشل تلك المحاولات من جانب البرتغاليين ، أصدر قائد القوات البرتغالية في هرمز اوامره الى قواته بالتأهب والاستعداد لصد أي هجوم متوقع من جانب الصفويين والانجليز ، وذلك في الوقت الذي كان فيه الشاه عباس قد أصدر اوامره الى « أما مقليخان » بالتحرك على راس جيش قوامه خمسة عشر ألف جندي نحو الشاطىء ، والعمل على اثارة المواطنين في راس الخيمة ضد القوات البرتغالية المتمركزة في جزيرة هرمز لدى حصار القوات الفارسية والانجليزية لها ، كما قام الانجليز من جانبهم بارسال بعض سفنهم الى ميناء « جاسك » لكي يكونوا قريبين من منطقة القتال في هرمز (١٥٣) .

ورغبة من الصفويين والانجليز في عزل جزيرة هرمز واجبار حاميتها على الاستسلام ، اتفق الجانبان على الاستيلاء على جزيرة قشم لكي يتسنى لهما منع مياهها العذبة من الوصول الى هرمز ، فقاما بقصفها وتمكنوا من اقتحامها عقب استسلام حاميتها في أول فبراير عام ١٦٢٢ (١٥٤) ، في مقابل تأمين حياة افرادها ونقلهم مع اسلحتهم وامتعتهم الى جزيرة هرمز ، والتعهد بعدم المساس بالفرس الذين كانوا يحاربون في صفوف الحامية البرتغالية (١٥٥) .

غير ان الحليفين لم يلتزما بتعهداتهما للبرتغاليين ، فلم تكد قواتهما تدخل جزيرة قشم حتى استولت على اسلحة البرتغاليين ومعداتهم ، وأسرت القوات الانجليزية « روي فراير » قائد القلعة ونقلته أسيرا الى ميناء سورات بالهند ، في حين فتك الصفويون بالفرس العاملين في خدمة القوات البرتغالية بالجزيرة (١٥٦)، ولم يكد يتحقق هذا ، حتى اقام الحليفان بعضا من قواتهما في الجزيرة باسم الاحتلال المشترك لها (١٥٧) .

حصار هرمز :

اتجه الحليفان بعد سقوط قشم الى جزيرة هرمز، فتحركت السفن الانجليزية نحو سواحلها لحصارها ، في الوقت الذي قدمت فيه قوات « اما مقليخان » لاكمال حلقة الحصار في ٩ فبراير عام ١٦٢٢ ، ولم تواجه القوات المشتركة بمقاومة عنيفة من البرتغاليين المحاصرين على نحو ما كان متوقعا ، وانما اقتصرت مهمتهم على موقف الدفاع ، مما شجع الانجليز على انزال ثلاثة آلاف جندي فارسي من سفنهم الى ارض الجزيرة ، وقد تمكن هؤلاء من الاستيلاء على المواقع الاستراتيجية في

الجزيرة بعد مقاومة يسيرة انهارت بعدها معنويات رجال الحامية البرتغالية ، فاضطروا الى الانسحاب الى داخل قلعة الجزيرة للاحتماء بها (١٥٨) .

سقـــوط هرمـــز :

ورغبة من البرتغاليين في كسب الوقت لحين تصلهم الامدادات من « جوا » بالهند ، عرضوا على الصفويين عقد الصلح في مقابل دفع الجزية لحاكم اقليـــم فارس ، غير انه لم يقبل بذلك وناشدوا الانجليز باسم وحدة الديـــن المسيحـــي بينهما ، غير انهم لم يستجيبوا لهم . وعلى اثر ذلك شدد الصفويون والانجليـــز حصارهم للقلعة البرتغالية ، ومنعوا عن المحاصرين المؤن والزاد ، فاضطر هؤلاء الى الاستسلام في ٢٣ ابريل عام ١٦٢٢ في مقابل تعهد الانجليز بحماية ارواحهم ونقلهم الى خارج الجزيرة (١٥٩) .

وقد تسلم الحليفان الاسرى من البرتغاليين والمسلمين ، فنقل الانجليز جميع الاسرى البرتغاليين الذين بقوا على قيد الحياة الى سفنهم لترحيلهم الى مسقط ، وقد بلغ عددهم نحو ثلاثة آلاف بما فيهم من النساء والاطفال ، أما الذين كانـــت اصابتهم خطيرة ولا يرجى شفاؤهم فقد ابقوهم في الجزيرة . أما الفرس فقد تسلموا الاسرى العرب والفرس حيث أمر « اما مقليخان » بقتل عدد كبير منهم وبعـــث برؤوسهم الى بندر عباس لكي يكون ذلك بمثابة عبرة لكل من تسول له نفســـه التعاون مع « الكفار » ضد « المسلمين » ، كما نقل الفرس الحاكم المحلي « محمود شاه » ووزيره والريس « نور الدين » قاضي الجزيرة الى « شيراز » حيث أودعوا في السجن لفترة طويلة (١٦١) .

اقتســـام الغنائـــم :

وقد غنم الحليفان خمسين مدفعا ثقيلا ، واربعة مدافع صغيرة وخمسة عشر مدفعا خفيفا ، ومائة وخمسين عربة مدفع ، وعلى نحو ما تم الاتفاق عليه ، قام الحليفان باقتسام الغنائم العسكرية فيما بينهما ، ثم لم يلبث الانجليز ان باعـــوا نصيبهم الى الفرس (١٦١) .

وبسقوط جزيرة هرمز على هذا النحو تم انزال العلم البرتغالي الذي ظل يرفرف على قلعة « البوكيرك » اكثر من قرن (١٦٢)،وانتهى بذلك الوجود البرتغالي الذي كان قائما في الجزيرة . واذا كان البرتغاليون قد حاولوا استرداد نفوذهم عليها في عامي ١٦٢٣ و١٦٢٥ ، فان محاولاتهم تلك باءت جميعها بالفشل ، واضطر البرتغاليون الى مهادنة الصفويين وخطب ودهم ، واستجاب هؤلاء لذلك، وسمحوا لهم باقامة قلعة ومركز تجاري في « كنك » شرقي ميناء لنجه ، واعفوا سلعهم من الرسوم وذلك على أمل الاستعانة بهم ضد الهولنديين او الانجليز اذا ما نشب خلاف بين الصفويين وبينهم (١٦٣) .

خاتمـــة :

وعلى هذا النحو وجدت الدولة الصفوية نفسها في مواجهة الكثير مـــن التحديات خلال فترة وجودها الذي استمر نحو مائتي وثلاثة وثلاثين عاما . فالدولة الصفوية باعتبارها عالما شيعيا وجدت نفسها منذ نشأتها بين عالمين سنيين أحدهما في الغرب ممثلا في الدولة العثمانية والاخر في الشرق ممثلا في دولتي الاوزبـــك والمغول ، وذلك في وقت كان فيه البرتغاليون قد توغلوا بنفوذهم الى الشواطىء الجنوبية الغربية للدولة الصفوية ، ومن هنا كان موقف تلك الدولة صعبا للغاية .

لذا كان من الطبيعي ان تعمد الدولة الصفوية ـ على نحو ما رأينا ـ الى مهادنة بعض تلك القوى لكي يتسنى لها التفرغ لمواجهة بعضها الاخر ، ولم تكـد تهدأ جبهتها القتالية في ناحية ، حتى تشتعل احدى جبهاتها الاخـرى من ناحيـة أخرى ، مما استنزف من مقدرة الدولة الصفوية ، وزاد من هذا الاستنزاف تآكل جبهتها الداخلية بسبب التنافس والصراع الذي كان قائما على اشده بين افراد أسرتها الحاكمة وبين القبائل والعرقيات المختلفة فيها ، وانتهى الامر بتلك الدولة الى انهيارها وسقوطها على يدي نادر شاه عام ١٧٣٣ .

الهوامش

(١) وتنسب « أيران » الى الجماعات الآرية التي هاجرت من موطنها الاصلي جنوبي بحر آرال الـى الاراضي الواقعة جنوب بحر قزوين حيث عرف موطنهم الجديد باسم « ايران » أي « موطـــن الآريين » ، وظلت تلك التسمية قائمة طوال عهد الاكمينيين عندما حلت محلها تسمية منطقـــة « بارسا » ذات القصور الملكية التي شيدها الملوك الاكمينيون شمال شرقي رأس الخليج ، وقد نقل الاغريق في عهد الاسكندر الاكبر تسمية المنطقة الى اليونانية فعرفت باسم Persepolis ، ثم لم تلبث التسمية الاخيرة ان عمت جميع المناطق الفارسية فصارت تعرف باسم « پارس » أو « فـــارس » .

وعلى الرغم من ان تسمية « ايران » عادت اليها في عهد الساسانيين عندما اطلق عليها اســم « يرانشهر » ، فان التسمية الفارسية لم تلبث ان اطلقت عليها مرة اخرى حتى عام ١٩٣٥ عندما طلبت الحكومة الايرانية من الدول الاجنبية اطلاق اسم « ايران » كتسمية رسمية للدولة .

دونالدولبر ، ايران ماضيها وحاضرها ، ترجمة الدكتور عبد النعيم محمد حسنين ، مكتبة مصر ، القاهرة ١٩٥٨ ص ١ .

(٢) R. Savory, Iran under the Safavids, Cambridge, 1980, p. 2.

(٣) H.F. Farmayan, The beginning of Modernization in Iran, The Policies and Reforms of Shah Abbas I (1587–1629), Research Monograph, nort, Middle East Center, University of Utah, State Lake City, Utah, 1949, p. 3.

(٤) D.N. Wilber, Iran, Past and Present, Princeton, New Jersey, 1967, p. 67.

(٥) كارل بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، نقله الى العربية نبيه امين فارس ومنير البعلبكي ، الطبعة الرابعة ، دار العلم للملايين ع بيروت ١٩٦٥ ص ٤٩٣ ، لونكريك (ستيفن هيمسلى) ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، نقله الى العربية جعفر خياط ، الطبعة الرابعة ، مطبعة المعارف ، بغداد ١٩٦٨ ص ٣٠ ،

Harford Jones Brydges, Dynasty of the Kajars, Arno Press, New York, 1973, p. XIVi.

وهناك من يشك في مدى صحة امتداد نسب الشيخ صفي الدين الى الحسين بن علي بن ابي طالب ، انظر بديع محمد جمعه ، الشاه عباس الكبير (١٥٨٨ — ١٦٢٩) ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٨٠ ص ٧ .

(٦) Savory, op. cit., p. 2.

(٧) المصدر السابق ص ٨ .

(٨) Wilber, op. cit., p. 67.

(٩) بديع محمد جمعه ، المصدر السابق ص ٨ .

(١٠) محمد أنيس ، الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤ — ١٩١٤ ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة (بدون) تاريخ ص ١٠٥ ، Savory, op. cit., pp. 13F.

(١١) عبد الكريم رافق ، العرب والعثمانيون ١٥١٦ — ١٩١٦ ، الطبعة الاولى ، دمشق ١٩٧٤ ص ١٣ .

(١٢) كارل بروكلمان ، المصدر السابق ص ٤٩٤ .

(١٣) شاهين مكاريوس ، تاريخ ايران ، مطبعة المقتطف مصر ١٨٩٨ ص ١٤٨ .

(١٤) المصدر السابق ص ٤٩٤ .

(١٥) نفس المصدر ص ٤٩٥ ، Savory, op. cit., p. 18.

ويذكر شاهين مكاريوس ان « أوزون حسن » تزوج أخت « حيدر » وليس ابنته ، أنظر تاريخ ايران ، المصدر السابق ص ١٤٨ .

(١٦) Formayan, op. cit., p. 7.

(١٧) وهي كلمة تركية تعنى « ذوي الرؤوس الحمراء »

S. Shaw, History of the Ottoman Empire and Modern Turkey, Cambridge, 1976, p. 77.

وقد اطلقت الكلمة على تلك القبائل التركمانية التي قدمت من غرب آسيا واعتنقت المذهب الشيعي . ويقال ان « حيدر » خامس الحكام الصفويين جاءه وحي من الله خلال منامه بأن يطلب من اتباعه ارتداء عمامة حمراء من اثنتي عشر ذؤابة تمثل الائمة الاثني عشرية الشيعة ، وأصبح لباس الرأس هذا منذ ذلك الوقت هو شعار الذين اعطوا ولاءهم للشيعة والصفويين Formayan, op. cit., pp. 6F. وقد اعتمد الصفويون عليهم في امتداد نفوذهم عبر فارس، مما أهلهم لتقلد المناصب الكبيرة في الدولة فصاروا حكاما على المدن والاقاليم المختلفة وتولوا قيادة الجيش وحصلوا على مساحات كبيرة من أخصب الاراضي كما كانوا يستثنون من دفع الضرائب . وعقب وفاة طهماسب الاول نشب صراع مرير بين رؤساء القزلباش ، وبدأت فترة من الصراع

الدموي في العهد الصفوي ، وبمرور الوقت تزايد عدد طوائف القزلباش حتى بلغوا ٣٢ طائفة قبيل تولي الشاه عباس الكبير الحكم عام ١٥٨٨ فكانوا يعتبرون انفسهم أعلى مكانة وأكثر أصالة من الطوائف الاخرى ، كما كانوا يتلقون مخصصاتهم من خزانة الدولة ibid, p. 7. انظر كذلك بديع محمد جمعه ، المصدر السابق ص ٥٩ .

(١٨) بروكلمان ، المصدر السابق ص ٤٩٥ ، Savory, op. cit., p. 18.

(١٩) نفس المصدر ص ٤٩٦ .

(٢٠) Eskandar Beg Monshi, History of Shah Abbas the Great, vol. 1, Boulder, Colorado, 1978, pp. 43–58.

(٢١) ibid., pp. 60–63.

(٢٢) وقد انتقلت العاصمة في عهد الشاه طهماسب الاول الى مدينة قزوين بسبب استيلاء العثمانيين على تبريز ، ثم انتقلت العاصمة بعد ذلك الى اصفهان عام ١٥٩٨ في عهد الشاه عباس الكبير انظر شاهين مكاريوس ، المصدر السابق ص ١٥٥ ، ولقد مكن موقع اصفهان المتوسط الشاه عباس من تحريك قواته الى اي جهة من ممتلكاته Savory, op. cit., p. 84,

(٢٣) ibid., pp. 27, 30.; Wilber, op. cit., p. 67.

(٢٤) Monshi, op. cit., vol. 1., p. 45.

(٢٥) Shaw, op. cit., p. 77.

(٢٦) ibid., p. 78.

(٢٧) Savory, op. cit., pp. 31, 40.

(٢٨) أحمد عبد الرحيم مصطفى ، في اصول التاريخ العثماني ، دار الشروق ، بيروت ١٩٨٢ ص ٧٨ ، Shaw, op. cit., p. 78.

(٢٩) وذلك عقب خروجه عليه وقيام حرب أهلية بينهما ، التف خلالها قادة الجيش خصوصا الانكشارية حوله See E. Monshi, op. cit., vol. 1, p. 67.

(٣٠) Shaw, op. cit., p. 78.

(٣١) Savory, op. cit., p. 40.

(٣٢) Shaw, op. cit., p. 80.

(٣٣) وللتعرف على تفاصيل المعركة ، أنظر
Stanley Lane - Poole, Turkey, Khayats, Beirut, 1965, p. 157.
E. Monshi, op. cit., vol. 1, pp. 68FF.

(٣٤) Savory, op. cit., p. 42.

(٣٥) See The Beginning of Modernization in Iran, p. 5.

(٣٦) Shaw, op. cit., p. 81.

(٣٧) محمد أنيس ، المصدر السابق ص ١٠٦ .

(٣٨) Savory, op. cit., p. 45.

(٣٩) عبد الكريم رافق ، المصدر السابق ص ٥٧ .

(٤٠) أحمد طربه ، الوحدة العربية في تاريخ المشرق المعاصر ١٨٠٠ ــ ١٩٥٨ ص ٤١ .

(٤١) E. Monshi, op. cit., vol. 1, pp. 71F; Savory, op. cit., p. 45.

(٤٢) عبد الكريم رافق ، المصدر السابق ص ٦٦ .

(٤٣) Savory, op. cit., p. 48.

(٤٤) المصدر السابق ص ٦٦ .

(٤٥) نفس المصدر ص ٦٦ والتي تليها .

(٤٦) Savory, op. cit., p. 61.

(٤٧) المصدر السابق ص ٦٧ .

(٤٨) عبد الكريم رافق ، المصدر السابق ص ٦٧ ، Savory, op. cit., p. 62.

(٤٩) نفس المصدر ص ٦٨ .

(٥٠) نفس المصدر والمكان ، Savory, op. cit., p. 62.

(٥١) Brydges, op. cit., p. xlviii.

(٥٢) Savory, op. cit., p. 64.

(٥٣) Savory, op. cit., p. 77.

(٥٤) بديع محمد جمعه ، المصدر السابق ص ١٦٥ والتي تليها .

(٥٥) وان كانوا قد احتفظوا بالقرشيين الفرسان Qurchis الذين كانوا يقومون بحراسة الشاه في السلم والحرب ويتولون حماية قصوره بقيادة قائدهم « قرشي باشي » Qurchi Bashi

(٥٦) Formayan, op. cit., p. 18. Wilber, op. cit., p. 69.; ibid, pp. 19–20.
وانظر كذلك بديع محمد جمعه ، المصدر السابق ص ٦٢ ــ ٦٥ .

(٥٧) بديع محمد جمعه ، نفس المصدر ص ٦٠ .

(٥٨) نفس المصدر ص ١٦٩ والتي تليها .

(٥٩) شاهين مكاريوس ، تاريخ ايران ص ١٥٥ ، Savory, op. cit., p. 85.

(٦٠) E. Monshi, History of Shah Abbas, vol. 11, p. 827.

(٦١) بديع محمد جمعه ، المصدر السابق ص ١٧١ والتي تليها .

(٦٢) Monshi, op. cit., vol. 11, p. 829.

(٦٣) ibid, vol. 11, pp. 831P.

(٦٤) ibid, vol. 11, pp. 833P.

(٦٥) بديع محمد جمعه ، الشاه عباس الكبير ص ١٧٦ ــ ١٧٨ ، ibid, vol. 11, p. 859.

(٦٦) نفس المصدر ص ١٧٨ .

(٦٧) Savory, op. cit., p. 87.

(٦٨) Monshi, op. cit., vol. 11, p. 875.

(٦٩) ibid, vol. 11, p. 876.

(٧٠) بديع محمد جمعه ، المصدر السابق ص ١٧٩ والتي تليها .

(٧١) Monshi, op. cit., vol. 11, p. 886.

(٧٢) المصدر السابق ص ١٨١ .

(٧٣) Monshi, History of Shah Abbas, vol. 11, p. 898.

(٧٤) ibid, vol. 11, pp. 923–926, 937–946.

(٧٥) بديع محمد جمعه ، المصدر السابق ص ١٨٥ والتي تليها .

(٧٦) نفس المصدر ص ١٨٧ والتي تليها ، Formayan, op. cit., p. 21.

(٧٧) نفس المصدر ص ١٨٩ .

(٧٨) Formayan, op. cit., p. 21.

(٧٩) المصدر السابق ص ١٩٠

(٨٠) Savory, op. cit., p. 88.

(٨١) Monshi, op. cit., vol. 11, p. 1152.

(٨٢) ibid, vol. 11, pp. 1155p.

(٨٣) بديع محمد جمعه ، المصدر السابق ص ١٩٣ .

(٨٤) وذلك وفقا للقاعدة التي قامت عليها المعاهدة الموقعة بين الشاه طهماسب الاول والسلطان سليمان القانوني مع ادخال التعديلين التاليين :

أ — أن تصبح Akesqa الواقعة في اقليم جورجيا منطقة تركية .

ب — ان تظل منطقة « دار — تانج » و« زنجير » الواقعة على حدود الاقليم الايراني والعراق العربي تابعة للدولة الصفوية بالرغم من تبعيتها السابقة للدولة العثمانية .

وأوصت المعاهدة الطرفان الموقعان عليها بمراعاة الوضع الراهن في هاتين المنطقتين وان لا يجعلا منهما سببا لمزيد من المنازعات . Monshi, op. cit., vol. 11, p. 1169.

(٨٥) المصدر السابق ص ١٩٤ — ١٩٦ .

(٨٦) نفس المصدر ص ١٩٧ .

(٨٧) عبد الكريم رافق ، المصدر السابق ص ١٣٩ ، Monshi, op. cit., vol. 11, p. 1209.

(٨٨) ibid, vol. 11, pp. 1221FF.

(٨٩) بديع محمد جمعه ، المصدر السابق ص ١٩٧ والتي تليها .

(٩٠) Monshi, op. cit., vol. 11, p. 1226; Savory, op. cit., p. 89.

(٩١) المصدر السابق ص ١٩٩ .

(٩٢) Monshi, op. cit., pp. 1227–1229; Savory, op. cit., p. 89.

(٩٣) ibid, vol. 11, p. 1259.

(٩٤) ibid, vol. 11, pp. 1267–1270.

(٩٥) ibid, vol. 11, pp. 1271F.

(٩٦) ibid, vol. 11, p. 1301.

(٩٧) عبد الكريم رافق ، المصدر السابق ص ٢١٠ . ويعزى ذلك الى ان القوات العثمانية كانت قد استنفذت معظم عتادها في العمليات العسكرية التي قامت بها في الاراضي الايرانية قبل ان تتوجه الى هدفها بغداد . انظر الصراع العراقي الفارس ، بغداد ١٩٨٣ ص ٢١٤ .

(٩٨) فتبقى كل من « تزانان » و« بدرة » و« مندلي » و« درتـــك » و« درنـــة » التابعة لباشوية بغداد خاضعة لسلطة السلطان الذي تخضع له كذلك السهول الممتدة ما بين « مندلي » و« درتك » ، أما الجبل فيخضع لسيادة الشاه ، وتصبح « سرمينيل » حدا فاصلا بين « درتك » و« درنة » ويصبح الجزء من بلدة « حارونية » الذي تقيم عليه قبائل « دجف » و« زلجودين » تابعا للسلطان في حين تبقى « بيزا » و« زردوني » تابعة للشاه ، وتزال قلعة « زندجير » المقامة فوق الجبل ، ويحصل السلطان على القرى الواقعة غربيها والشاه على القرى الواقعة شرقيها ، اما القرى الواقعة على الجبل فوق سالم كالي بالقرب من شهرزور فتخضع للسلطان ، والقرى الواقعـــة نحو الشرق فتخضع للشاه الذي سيحتفظ كذلك بقلعة أورمان والقرى المجاورة لها ويصبح الممر المؤدي الى « شهرزور» حدا فاصلا للحدود ، وتبقى قلعة « كيزيليدجي » وما حولها تابعة للسلطان في حين تصبح « مهربان » وما حولها تابعة للشاه . اما قلعتا « قطور » و« ماكو » القائمتان على حدود « فان » وقلعة « ماجازبرد » المؤدية الى « كار » و« فان » فيتولى الجانبان ازالتهما .
أنظر « الجذور التاريخية لازمة العلاقات العراقية الايرانية في العصر الحديث » للمؤلف ، مجلة العلوم الاجتماعية ، جامعة الكويت ، العدد الاول ، السنة العاشرة ، مارس ١٩٨٢ ص ٣٤ .

(٩٩) S. Lane - Poole, Turkey, pp. 21F.

(١٠٠) بديع محمد جمعة ، المصدر السابق ص ١٥١ .

(١٠١) Savory, op. cit., pp. 58–60.

(١٠٢) المصدر السابق ص ١٥١ والتي تليها .

(١٠٣) Savory, op. cit., p. 75.; Wilber, op. cit., p. 67; Formayan, op. cit., p. 8.

(١٠٤) وللتعرف على كيفية التخلص منه أنظر Brydges, op. cit., pp. liv–lv.

(١٠٥) بديع محمد جمعه ، المصدر السابق ص ١٥٤ .

(١٠٦) نفس المصدر ص ١٥٥ .

(١٠٧) Formayan, op. cit., p. 13.

(١٠٨) المصدر السابق ص ١٥٦ — ١٥٨ ، Formayan, Loc. cit.,

(١٠٩) نفس المصدر ص ١٥٧ .

(١١٠) نفس المصدر ص ١٥٩ .

(١١١) نفس المصدر ص ١٦٠ .

(١١٢) Monshi, op. cit., vol. 11, pp. 752F.

(١١٣) المصدر السابق ص ١٦١ .

(١١٤) وقد عين الشاه عباس « حسين خان شاملو » حاكما على هراة وامير أمراء علـــى خراسان Monshi, op. cit., vol. 11, pp. 760 FF. وانظر كذلـــك Savory, op. cit., p. 84.

(١١٥) وأصبحت الخطبة باسم الشاه عباس وسكت العملة باسمه Monshi, p. 763.

(١١٦) Formayan, op. cit., p. 13.

(١١٧) بديع محمد جمعه ، المصدر السابق ص ١٦٤ .

(١١٨) Savory, op. cit., p. 36.

(١١٩) المصدر السابق ص ٢٠٤ .

(١٢٠) نفس المصدر ص ٢٠٥ والتي تليها .

(١٢١) Monshi, op. cit., vol. 11, p. 1192.

(١٢٢) المصدر السابق ص ٢٠٧ .

(١٢٣) Monshi, op. cit., vol. 11, pp. 1172, 1184–88.

(١٢٤) المصدر السابق ص ٢٠٨ والتي تليها .

(١٢٥) المؤلف ، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، الجزء الاول ، الطبعة الثانية ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت ١٩٨٤ ص ١٦ والتي تليها .

(١٢٦) نفس المصدر ص ١٧ .

(١٢٧) نفس المصدر والمكان .

(١٢٨) مصطفى عقيل الخطيب ، التنافس الدولي في الخليج العربي ١٦٢٢ — ١٧٦٣ ، المكتبة العصرية ، بيروت ١٩٨١ ص ٢٣ .

(١٢٩) المصدر السابق ص ١٧ ، Formayan, op. cit., p. 11.

(١٣٠) نفس المصدر ص ١٨ .

(١٣١) مصطفى عقيل الخطيب ، المصدر السابق ص ٢٤ . Savory. op. cit., p. 106.

(١٣٢) المؤلف ، المصدر السابق ص ٢٧ .

(١٣٣) نفس المصدر والمكان .

(١٣٤) Monshi, op. cit., vol. 11, pp. 1160–1162; Savory, op. cit., pp. 107–127.

(١٣٥) وقد رأس البعثة الاسبانية الاولى القسيسان البرتغاليان « الفونسو كردرو » و«نيكولا دي ملو » عام ١٥٩٨ ، تلتها في العام التالي البعثة الفارسية الاولى برئاسة « حسينعلي بك بيـــات » و« انتوني شرلي » ، ثم البعثة الاسبانية الثانية برئاسة « انتونيو دي جوفيا » عام ١٦٠٢ وتلتها البعثة الفارسية الثانية برئاسة « روبرت شرلي » عام ١٦٠٧ فالاسبانية الثالثة برئاسة « انتونيو دي جوفيا » كذلك عام ١٦٠٨ ، والرابعة برئاسة « انتونيو دي جوفيا » ايضا عام ١٦١٢ ، فالفارسية الثالثة برئاسة « انتونيو دنكيزبك » في نفس السنة ، والرابعة برئاسة « روبرت شرلي» عام ١٦١٥ ثم « دون جارسيا دي سيلفا فيجورا » المبعوث الاسباني من قبل الملك فيليب الثاني الذي قدم الى البلاط الفارسي عام ١٦١٨ قبل اندلاع القتال في معركة هرمز عام ١٦٢٢ انظر بديع محمد جمعة ، المصدر السابق ص٢٢٠ — ٢٢٨ . ويذكر Formayan ان « فيجورا » عندمـــا اجتمع مع الشاه عباس الاول عام ١٦١٨ قدم اليه خطابات تطالب أولا باسترداد « جمبرون » والاقاليم الاخرى التي استولى عليها الفرس مؤخرا والتي يطالب البرتغاليون بها ، وتطالب ثانيا بحرمان الانجليز وجميع الاوروبيين الاخرين من التجارة الفارسية ، وعندما لم يتحمل الشاه ذلك ، قام بتمزيق الخطابات وأقسم انه لن يعيد ما أخذه فقط وانما سيخرج البرتغاليين من قلعتهم في هرمز كذلك ، ثم لم يلبث ان أمر باصدار فرمان يمنح الانجليز وحدهم حق احتكار الحرير في بلاده See Formayan, op. cit., p. 23

(١٣٦) مصطفى عقيل الخطيب ، المصدر السابق ص ٢٨ . Savory, op. cit., p. 115.

(١٣٧) Formayan, op. cit., pp. 13F.

(١٣٨) بديع محمد جمعه ، المصدر السابق ص ٢٣٠

(١٣٩) نفس المصدر ص ٢٣١ .

(١٤٠) Monshi, op. cit., vol. 11, pp. 804F. ; Savory, op. cit., pp. 107, 115.

(١٤١) المصدر السابق ص ٢٣٢ .

(١٤٢) مصطفى عقيل الخطيب ، المصدر السابق ص ٥٩ .

(١٤٣) المصدر السابق ص ٢٣٣ .

(١٤٤) نفس المصدر ص ٢٣٤ .

(١٤٥) نفس المصدر ص ٢٣٥ .

(١٤٦) نفس المصدر ص ٢٣٦ ، مصطفى عقيل الخطيب ، المصدر السابق ص ٦٤ .

(١٤٧) نفس المصدر والمكان .

(١٤٨) نفس المصدر ص ٢٣٧ ، مصطفى عقيل الخطيب ، المصدر السابق ص ٦٩ .

(١٤٩) وازاء تجاهل الشركة لتعليمات الحكومة البريطانية ، عقد الانجليز محاكمة لرئيس الشركة حاول خلالها تبرير تصرفه ، غير انهم لم يأخذوا بذلك فادانوا الشركة وفرضوا عليها غرامة ماليـة مقدارها ٢٠ الف جنيه استرليني ، ووجهوا تحذيراتهم الى الشركة بألا تقدم على مثل هذا العمل قبل التشاور مع الملك أو الحكومة ، نفس المصدر ص ٢٦٠ والتي تليها ، الخطيب نفس المصدر ص ٧٥ .

(١٥٠) نفس المصدر ص ٢٣٨ والتي تليها ، المؤلف ، المصدر السابق ص ٣١ .

Monshi, op. cit., vol. 11, p. 1203.

(١٥١) مصطفى عقيل الخطيب ، المصدر السابق ص ٧٨ ، ٨٩ .

(١٥٢) بديع محمد جمعه ، المصدر السابق ص ٢٣٩ .

(١٥٣) نفس المصدر ص ٢٣٩ والتي تليها .

(١٥٤) Savory, op. cit., p. 117.

(٢٥٥) المصدر السابق ص ٢٤١ .

(١٥٦) Monshi, op. cit., vol. 11, p. 1204.

(١٥٧) Formayan, op. cit., p. 23.

(١٥٨) Formayan, Loc. cit.

(١٥٩) بديع محمد جمعه ، المصدر السابق ص ٢٤٣ .

(١٦٠) مصطفى عقيل الخطيب ، المصدر السابق ص ٨٣ .

(١٦١) المصدر السابق ص ٢٤٤ .

(١٦٢) Formayan, op. cit., pp. 23F.

(١٦٣) المصدر السابق ص ٢٤٦ — ٢٤٨ .